بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

مدخـــــل :

1/ مولده

2/ ثقافته

3/ شاعرته

4/ الأغراض الشعرية

5/ أسلوبه

الفصل الأول : المديـــح

المبحث الأول: المديح

المبحث الثاني : المديح النبوي

المبحث الثالث :المديح في العصور

المبحث الرابع : أنواع المديح

الفصل الثاني: جماليات الصور

المبحث الأول : مفهوم الصورة الشعرية

المبحث الثاني : الصورة البيانية

المبحث الثالث : الصورة البديعية (الطباق – الجناس)

المبحث الرابع : الموسيقى

خاتمة

قائمة المصادر

الفهرس

ملحق

مقدمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على ما لا نبي بعده ،يسدنا محمد و على اله وصحبه و من ولاه إلي يوم الدين و بعد :

لقد عاش الأدب العربي في أحضان الأندلس قرابة ثمانية قرون متأثرا بكل ما فيها من مظاهر الحياة بجوانبها السياسية و الاجتماعية و الفكرية كافة و هي مدة لا يستهان بها في دراسة الأدب الذي يعد مرآة صادقة لأي عصر في العصور نطلع نطلع من خلالها على الوجه الحقيقي لهذا العصر و ما يميزه من خصائص وسمات ينفرد بها عما سواه.

الأندلس تلك البلاد التي أنتجت حضارة إسلامية عريقة أصبحت جناحا من العالم الإسلامي بعد الفتح الإسلامي لها عام 92 ه ،الذي ترك أثرا واضحا في مظاهر الحياة فيها و من ضمنها الحياة الأدبية ،بنثرها و شعرها و قد تنوعت فنون الشعر و اختلفت أغراضه حتى خرجت عن المنهج المحافظ لها إلى اتجاهات جديدة أوسع و أرحب من ضمنها الخمريات و الغزل و المجونيات و الطبيعيات والزهديات و المدح.

و مما تجدر الإشارة الكثير من هذه الفنون حظيت باهتمام و عناية بعض الباحثين و الدارسين و كذلك ما شاع في الأندلس من فنون جديدة كالموشحات و المدح الذي دارت حوله الكثير من الدراسات ،إلا أن ما يهم في الأمر هو تسليط الضوء على الاتجاه الذي يعد احد اتجاهات الشعر العربي في تلك المرحلة و هو اتجاه المدح وعلى الخصوص في هذه المرحلة التي بدأت بالفتح الإسلامي في الأندلس إلى أواخر القرن الثالث هجري .

هذا الاتجاه الذي عرف في هذه المرحلة و كتب لطبقته العامة في المجتمع قد أهمل بعض الدارسون دراسته مع انه يمس جوهر القيم الروحية و الدينية ، في حين أنني أجد بعض الدراسات دارت حول المدح في عصور مختلفة منها عصر

ملوك الطوائف ،و عصر المرابطين و الموحدين إلا أن المرحلة التي سبقت ذلك و لسبب اجهله أغفلتها الكثير من الدراسات الحديثة .

و بناء على اقتراح جزاه الله خير جزاء ،رغبت في التعرف على اتجاه المدح في الأندلس و حقيقة بدايته و انتشاره و العوامل التي أدت إلى ذلك فاتجهت إلى البحث في هذا الموضوع أملا في إكمال النقص و سد الثغرة و لو بقليل ، و تلاقيا لإهمال تلك المرحلة التي تشكل أهم المراحل التي جرت بها الأندلس حيث أشرق في سمائها الدين الإسلامي شكلا حضارة إسلامية عريقة ما تزال أثرها باقية إلى يومنا الحاضر و بذلك شرعت في إعداد هذه الدراسة (الدراسة الفنية في شعر المديح لابن خفاجة)

و قد اقتضت طبيعة الموضوع أن اجعله في فصلين اخصص الفصل الأول للدراسة الموضوعية و الفصل الثاني للدراسة الفنية

و سوف اجعل الفصل الأول :ثلاث مباحث فأتحدث عن المدح لغة و اصطلاحا و تعريفه قديما و حديثا و في المبحث الثاني المدح عبر العصور أما البحث الثالث فعرجت على أنواعه والمبحث الرابع جعلته للرسائل الاخوانية مفهومها ومعناها .

أما الفصل الثاني فجعلته في ثلاث مباحث أتحدث في المبحث الأول عن الصورة الشعرية (فنية و تعريفها) و المبحث الثاني اخصصه للبديع و البيان (استعارة و التشبيه و الكناية و الطباق و الجناس) أما المبحث الثالث و الأخير فسأخصصه للموسيقى و الإيقاع .

و الجدير بالذكر انه لا يخلو أي مبحث عقبات و صعوبات إذا ما أثرت في الموضوع ستؤثر في الوقت و من بين هذه الصعوبات :

- الشح في قصائد المدح عند الشاعر

- بعض المصطلحات الصعبة القديمة التي تتطلب عنها البحث بدقة للحصول على المعنى و الفهم المقصود .

- التشابه في قصائد شعراء الأندلس إلى حد بعيد .

و في نهاية الدراسة اختم الموضوع بتقديم ابرز النتائج التي توصلت إليها:

و قد اعتمدت في إعداد هذا البحث على الجمع بين المناهج المختلفة خاصة المنهج الوصفي و المنهج الأسلوبي و التاريخي ،ذلك لما يتطلبه الموضوع من بيان للمؤثرات البيئية و الدينية ،و ما تركته من اثر واضح في شخصية الشعراء مما جعلهم يترجمون ذلك الأثر في أبياتهم الشعرية ، مع تحليل لمورثاتهم الشعرية ودراسة الظواهر الفنية فيها .

و أخيرا و ليس أخرا....أمل من الله عز و جل بفضله و منه و عطائه أن أوفق في الوفاء بحق هذه المرحلة الهامة ،و ما يلزمها من متطلبات ،و ما يضيء جوانبها من معطيات .

و هذا و ان وفقت في ذلك فمن الله عز و جل صاحب الفضل و معطيه و مانحه لمن يشاء من عباده ،و إن أخفقت فحسبي من نفسي أني اجتهدت و ما جهدي إلا جهد بشري يقع تحت طائلة الخطأ و النقص و النسيان و اسأل الله العلي القدير أن لا احرم اجر المجتهدين .

مدخل :ابن خفاجة.

1/ مولده:

ولد أبو إسحاق إبراهيم ابن الفتح عبد الله عبد الله بن خفاجة الأندلسي عام 450 هـ 1058 م في عصر ملوك الطوائف في قرية صغيرة تسمى " شقر" من أعمال بلسنية .

ولا نعرف شيئا عن والده و أمه و أسرته لان التاريخ لم يحفل بذلك كما أهملهم الشاعر نفسه فلم يحدثنا عنهم في شعره أو نثره و كأنه لم يجد فيهم ما يستحق أن يتحدث عنه.

أما في طفولته ،فيبدو أنها عادية جدا ،فقد تثقف ثقافة غيره من بني جنسه فحفظ القران و بعض الأحاديث النبوية حسب طرق التعليم المتبعة في الأندلس آنذاك ،وفي الوقت نفسه درس الشعر و النثر و علوم اللغة و الخط و الحساب ،ثم تلقى تعليمه الديني على يد جهاذبة الفقه في عصره من مثل : أبي تليد بشاطبة و الفقيه أبي بكر بن الأسود ،أما أساتذته في الأدب فنذكر منهم :ابن صواب ،و نبغ في الفقه و علومه إلا انه اعرض عنه إلى الأدب لكراهيته لنفاق الفقهاء في عصره ،كما انه لم يحقق ما يصبو إليه عن طريقه ،و قد تزود لنبوغه في الأدب بثقافة واسعة و متعددة وذلك بالمطالعة ،بل و حفظ دواوين شعرية لنوابغ الشعراء ،وخاصة المتنبي و الشريف الرضي ، و عبد المحسن الصوري "مهيار الديلمي" الذين تأثر بإشعارهم تأثرا ملحوظا ،كما صرح بذلك شخصيا في مقدمة ديوانه.

و اقبل على الشعر معتمدا على ذوقه الجبلي ، و على طبيعة جزيرته الساحرة التي أمدته بالصور الأخاذة و الأوصاف الفريدة.

لقد عاش ابن خفاجة بعد أن شب عن الطوق حياة لهو و مجون كبني عصره فأدلى بدلوه مع الغواة ، وشرب الخمر حتى الثمالة ،فحين ذهب إلى خمارة يعب الخمر و وصف ذلك بقوله [1]:

فمهما يتممت خمـــــــــارة ركبت الى اشقر اشهـــــبا

و حيث حانتها طارقـــــــها فقالت تجيب الا مرحـــــبا

و قامت باجيد كاسهـــــــا لاوقص من دنـــــها احدبا

و كان يعشق الطبيعة ،و يقضي معظم أوقاته بين حدائقها ،و رياضها و على ضفاف أنهارها ،ويشرب الخمر ،و يرتاد الحانات ،و يغازل الفتيات ، و يعشق الجميلات ،حيث أفاض شعره بهذا العبث ،فحين رأى ساقيا جميلا اخذ يبرز مفاتنه الجسدية في قوله:[2]

و اغيد في صور الندى لحسنـــه حلى و في صدر القصيد نسيب

من الهيف اما ردفـــه فمنعـــم خصيب و اما خصره فجديـب

يرف بروض الحسن من نور وجهه و قامتـــه نوارة وقضيـــب

و استمر في لهوه و عبثه ، غير مهتم بأمور وطنه ، ولا بمشاكل مجتمعه ، فلا يثور لاعتداء ولا إهدار لكرامته ،و لقد شاهد الأحداث الجسام في زمن ملوك الطوائف لفم يحرك ساكنا ،و لم يذكر لنا في شعره شيئا من ذلك (إلا نادرا) و لم يصرح به براى ، ولم يقدم لمعتد نصحا ، و لم يوجه الظالم زجرا ، ولم ينذر مثيري الخلاف و الجارين فيه بسوء الحال .

و قد يقال أن اشتغاله باللهو و العبث في هذه الفترة من الزمن حيث كان صبيا ثم شابا و هو الذي صرفه عن هذا الجد[3].

[1] ابن خفاجة ،ا لديوان ص 262

[2]ابن خفاجة،الديوان ص 83

[3]ينظر:علي محمد سلام :الأدب العربي في الأندلس ،تطوره موضوعاته و أشهر أعلامه ،ص334

و يتجلى لنا ابن خفاجة شاعرا كلاسيكيا تقليديا من ناحية المعاني و من ناحية الإطار الذي صاغ فيه قصائده و لكن هناك ميزة تميزه عن غيره من الشعراء السابقين : فالصور و التشبيهات و الاستعارات مأخوذة بأسرها من الطبيعة و إنا نشعر عند بن خفاجة برغبة الإتيان بما هو جديد طريف و استمرار ورود الطبيعة في شعره يدل على انه ليس ثمة فاصل بين المرحلتين اللتين اشرنا إليهما من قبل ، لقد بقي بن خفاجة متمسكا بالطبيعة تمسكا شديدا ، و زودته الطبيعة بكمية تكاد لا تنفذ من صور متنوعة يانعة .[1]

و ها نحن نبلغ الآن السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا الذي عمر طويلا ،كما نعلم .

ترى في أي سنة توقف شاعرنا عن قول الشعر ؟

في السنوات الأخيرة من حياته الممتدة فيما يبدو و في الديوان نجد فعلا قطعة شعرية قالها الشاعر و قد بلغ إحدى و ثمانين سنة من عمره ،أي قبل سنتين من وفاته يجيب فيها أبا العرب عبد الوهاب التجيبي و قد سأله عن حاله:

أي انس او غذاء او نســـــه لابن احدى و ثمانين سنــه

قلص الشيب بها ذيل امـــرئ طالما جر صباه رسنـــه

فالمنية ذلك النسر الذي لا يرأف و لا يرحم ،قد ذهب بأصدقائه الأعزاء الواحد بعد الأخر و ما هو ألان إلا شيخ هرم يئن تحت عبء السنين و تأوه من الأوجاع أصابته من ذاته ، و يتجرع مرارة الوحدة و الانفراد الموحش فيلجا إلى ماضيه ليتسلى وقتا من الزمان[2].

و لا شك أن ابن خفاجة و جد في ذكرياته راحة بفضلها نسى حاضره و غفل عما ينغص عيشه ، و لكن عندما يفيق و يدرك خطورة حاله نجده من ألد المتمردين على الحياة الدنيوية فرفضها في نغمات رومنطقية قبل أوانها ،و يودع

[1] حمدان حجاجي :حياة و أثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1 ،2007،ص 126
[2] المرجع نفسه ص 127 .

ابن خفاجة في قطعة شعرية ،هي فيما يبدو تصوير لحالة نفسية خاصة بالشيخوخة ،بأسلوب معقد يأسه النهائي أمام هذه الحياة ، فيقول :

فيا ليت اني ماخلقت لمطعـــــــم و لم ادر ما اليسرى هناك و لا العسرى

و يظهر لنا جليا من خلال الديوان إن ابن خفاجة لم يهتم كثيرا بالآخرة و لم يتسل عن هذه الحياة بما سيجده في دار الخلد من نعيم ،فلما أحس بقرب اجله نظم قطعة شعرية أعدها لتكتب على قبره ،و استعد ليفارق هذه الدنيا غير نادم عليها:

خليلي هل بعد الردى من ثنية و هل بعد بطن الارض دار مخيم

و انا حيينا او ردينا لاخــوة فمن مر بي من مسلم فليسلــم

و ماذا عليه ان يقول محيــيا الا عم صباحا او يقول الا اسلـم

في تلك الجزيرة ،جزيرة شقر توفي ابن خفاجة و دفن بها ،كما أوصى به ،سنة 553 هجرية / 1138 ميلادية و قد بلغ من العمر ثلاثا و ثمانين سنة[1].

أما الموسيقى الداخلية في البيت في البيت الشعري فقد أعطاها اهتماما بالغا وتألق فيها كقوله[2] و جاءت مضيفة جمالا و رونقا لهذا الضرب من القصيد .

فاقمت عطا ازوارا و جلوت وجها ازهرا و اورت طرفا اهورا

و يرصع به بن خفاجة شعره بقوله[3] و هذا حماية لقصائده و إرساءها بالخوصصة

فما اره اظاعنا واحـــــدا الا اراه قاطنا نـــــازلا

و الطرفان متساويان وزنا و قافية و قد أكثر من التقابل في شعره و ديوانه يزخرف بذلك في بناء الصور فقد اعتمد بن خفاجة عن المبالغة و التفحيم والتشخيص و التجسيد ،ويظهر ذلك جليا في قوله[1]

[1]حمدان حجاجي :حياة واثأر الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ،ص 129-130 .
[2]أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي: ديوان بن إسحاق بن خفاجة الأندلسي ،ص 248 .
[3]المصدر نفسه :ص 132.

و بي وسرى راكب ظهر مدمع طليق اذا ما انجد الركب اتهما

و أراد فيه أن دمعه يفضح و يكشف خباياه و خفاياه فإذا ما سار الركب و ابتعد الأحباب إلى نجد و اتهامه فدمعه يسيل من مآقيه ،فهو مولع بالصور و المجازات و الأخيلة.

أما البحور الخليلية التي اتخذها فقد كانت تتراوح بين القلة و الكثرة و اتخذ من الكامل و البسيط و الوافر و السريع و المتقارب و الطويل سلكا لنظمه و قلل من ركوب بحري المجتث و الرجز ،و نختم الحديث عن أسلوبه بحسن تخلصه وجودة ختامه لقصائده.

فمن الأول قصيدته الميمية التي بدأها بالغزل نزولا على رغبة الممدوح و مزج ذلك بالشكوى من الشيب و المرض ثم التخلص إلى مدحه تخلصا حسننا في قوله:[2]

لا لعمر المجد و الكـرم و قضاء السيــف و القلــم

قسما يرا يشفعـــــه قسم ارعــاه من قســـم

لا ينال الدهر من جهتي و بابراهيم معتصـــــمي

الامام المستقـــل به ركن بيت الفضل و المكـرم

اشتهرت الأندلس بحسن الطبيعة و جمالها ،و اعتدال الجو و كثرة الخيرات واطنب الجغرافيون و المؤرخون المسلمون في وصف هذه الخصائص و تفصيلها اشترك في ذلك الأندلسيون و سواهم ممن كتب على حال الأندلس.[3]

يقول الرحالة بن حوقل (676) هـ في وصفها: " و أما الأندلس فجزيرة كبيرة.تغلب عليها المياه الجارية و الشجر المثمر [1] و يفصل لسان الدين بن

---

[1]المصدر نفسه :ص 132.

[2]أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي: ديوان بن إسحاق بن خفاجة الأندلسي ،ص 108.

[3] عصام عبد الطيف:الإنسان و البيئة ,منشورات وزارة الثقافة و الفنون ،الجمهورية العراقية، سلسة الموسوعة الصغيرة, ع 39،1979, ص 12.

الخطيب (676 هـ) في وصفها إذ يقول " وقد خصها الله من الري و غدق السقيا و لذاذة الأقوات و فراهة الحيوان و درور المياه و كثرة الفواكه و تبحر العمران وجودة اللباس و صحة الهواء بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها [2]،لهذا تميزت هذه الطبيعة الساحرة عن غيرها ،و أضحت بصمة في الأرض لا تضاهى ،وكان لها الوقع الواضح في مبدعيها ،و خصت بلمسة جمالية تجلت في أشعارهم و مدتهم بهواجس العاطفة و الوجدان و لاحت ظلالها على سكانها أجمعين .

و أورد بها غالب الغرناطي قولهم " الأندلس شامية في طيب أرضها و مبانيها يمنية في اعتدالها و استوائها و هندية في عطرها وزكائها [3]".

هذا الوصف الجميل ليس اعتباطا جاء بهذا التشبيه ،فطبيعة الأندلس صارخة الجمال و البهاء ،فلو رجعنا إلى شعر بن زيدون أو عبد ربه لوجدنا صفات الأندلس جاءت مفروضة فرضا ،و التأثر بها واضح و جلي لا تكاد تخلو منه كتابة إلا وكان مركزها ،فالشاعر الأندلسي نشا في كنف هذه البيئة جغرافيا بما حوته من تنوع واسع من الجمال ، فهي بيئة نقية الهواء غنية بمياهها الجارية وأطيارها المغرد وشجرها المثمر و مقتنصاتها العامرة.

وفي هذا يذكر الحجازي ملاحظة قيمة في تفسير شاعرية أهل الأندلس و بيان أصالتها ،إذ يعزوها إلى اثر الطبيعة الجميلة فيقول " وهم اشعر الناس فيها كثره الله تعالى في بلادهم و جعله نصب أعينهم من الأشجار و الأنهار و الطيور لا ينازعهم أحدا في هذا الشأن [4]هذه الطبيعة الساحرة التي وصفها الحجازي تميزت بها بلاد الأندلس عن غيرها ،فكانت مهيئا لتحفيز ملكة الشاعر ،فاخذ يصنع أفكاره شعرا رائقا.

---

[1] إسماعيل باشا بن محمد البغدادي : إيضاح المكنون في الدليل عن كشف الظنون على أساس الكتب و الفنون ،المكتبة الإسلامية ،طهران ،ط3 1958,،ص70 .

[2] نسان الدين بن الخطيب السلماني : تاريخ اسبانيا الإسلامية ، مطبعة دار المكشوف ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،1956 ،ص 34.

[3] علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسي و العمراني و الاجتماعي ، دار الكتاب العربي ،مصر ،ط1 ،1957 ,ص 48.

[4] انخل بن ثالث بالنثيا :تاريخ الفكر الأندلسي ،ترجمة :حسين مؤنس ،مطبعة مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،مصر ،ط1 ،1955 ،ص 123.

بالإضافة إلى هذا كله كان كذلك الوسط الاجتماعي المهتم باللغة و الشعر وأثره البارز في تزكية الملكة الشعرية للشاعر الأندلسي .

إن بناء ملكة اللغة و قواعدها ،و الحس الأدبي الرفيع يتطلب قيام نظام تعليمي أولي مشيد من الأساس من التدرج المدروس في تلقين العلم للدارسين ،و الفهم الواعي في كيفية إعداد جيل من الشباب يتوفرون على حصيلة ثقافية من علوم اللغة و الأدب ، تؤهلهم للانتقال إلى مرحلة دراسية أعلى فتدريس العلم للمبتدئ ،إنما يكون مفيدا إذا كان التدرج نشئا فنشئا و يراعي في ذلك قوة عقله و استعداده لقبوله ما يرد عليه ،حتى ينتهي إلى أخر الفن ، و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية و ضعيفة و غايتها أنها هيأته لفهم الفن و تحصيل مسائلة [1].

و السبب الاجتماعي له الدور الأكبر في تنشئة الجيل ،و للبيئة دورها في تطوير و تحسين الحس الفني الجميل وفق خطة مدروسة عبر مراحل متعددة ليصل بعدها طالب العلم إلى المرحلة المبتغاة ،و هذا ما سارت عليه الطريقة التعليمية الأندلسية.

[1] محمد رضوان الداية :تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مطبعة دار الأنوار ،بيروت ،البنان ط1968،1 ، ص 57 .

2/ ثقافته :

تثقف ابن خفاجة ثقافة عصره فحفظ القران الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة حسب طرق التعليم السائدة في الأندلس .

ثم درس الشعر و النثر و علوم اللغة و الخط و الحساب ،و تلقى تعليمه الديني على يد كبار أساتذة الفقه في عصره مثل :تليد بشاطبية و الفقيه أبي بكر بن الأسود أما أساتذته في الأدب فكثيرون منهم : ابن صواب و نبغ في الفقه وعلومه إلا انه عرف عنه إلى الأدب لكراهيته لنفاق الفقهاء في عصره[1]

و قد اقتضى نبوغه في الأدب أن يتزود بثقافة واسعة فاطلع على اغلب الدواوين الشعرية و حفظ البعض منها لا سيما ديوان المتنبي و الشريف الرضي و عبد المحسن الصوري و مهيار الديلمي فتأثر بهم و نسج على منوالهم[2].

و ذكر ذلك في مقدمة ديوانه فنراه يقول : إن بذلك فيما يشوق و يهز و يروق من لف الغزل بالحماسة و هي من أساليب أبي الطيب فمن قولنا ذلك[3]:

و رب ليال بالغميم ارقتـــــــها لمرضى جفون بالفرات نيـــام

و لم ادر ماشجعى و ادعى الى الهوى اخفقة برق ام غناء حمـــــام

كما يقول عن تأثره بمهيار الديلمي" أما ذلك بغض ما نقتفيه من طريقة مهيار ونحتذيه كقولنا"[4]

و يابانة الوادي بمستعرج اللـــوى اتصغى على شحط النوى فاقـول

و يا نفحات الريح من بطن لعلـــح الاجساد من ذلك النسيم نجيـــل

و كذا الحال بالنسبة لنسيم رضي.

---

[1] ينظر: الأدب العربي في الأندلس: د محمد علي سلالة ،الدار العربية للمنشورات ، بيروت لبنان ،ط1 ، 1989 ، ص333 .
[2] نفس المصدر : ص 334 .
[3] أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي : ديوان أبو إسحاق ابن خفاجة الأندلسي ، تحقيق غازي مصطفى ، مكتبة المعارف الإسكندرية مصر ، ب ط ،1869 ،ص 16 .
[4]المصدر نفسه :ص 14.

3/ شاعريته :

يعد بن خفاجة علما من أعلام الأندلس يشار إليه بالبنان و عبقرية فنه تزهى بها جزيرة شقر و يفاخر بها المغرب و المشرق فيما أنتج من عبقريات فكان شاعرا كبيرا و ناظما جيدا ،و لم يتخذ من الأدب مرتزقا له لأنه ميسور الحال و رث عن أهله ثروة أمدته طول حياته فهو الناظم الطموح الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرف بين حكمته و تحكمه البديع ،تصرف في فنون الإبداع كيف شاء و اتبع الرثاء.

و هذا ما ساعده في أن يشق طريقه إلى حد الإعجاز فجاء نظامه ارق من نفس العليل [1].

فتن أول أمره بأشعار المحدثين في المشرق و بشعراء القرن الرابع خاصة فاخذ منهم و صار يقلدهم حينا و يعارضهم حينا أخر و لكنه سرعان ما استقل بطابعه المتميز فكان له أسلوب الخاص الذي ميزه عن شعراء عصره

و ذاعت شهرته في الأندلس و المغرب و كتب عنه الأدباء و المؤرخون فاختار له ابن بسام في كتابه (الذخيرة) و ابن فاقان في (قلائد العقيان) و أبو الصلب (الحديقة) و الحداري في (المسهب).

و امتدت شهرته أقصى الشرف لأنه اقبل على الشعر معتمدا على ذوقه الجبلي و على طبيعة جزيرته الساحرة [2] فقد كان للطبيعة وقتها في شخص بن خفاجة وخاصة طبيعة الأندلس الساحرة التي فاضت بها أشعاره.

4/ الأغراض الشعرية:

حاول ابن خفاجة أن يطرق كل باب طرقه القدماء و المحدثين في عصره وسار على طريقهم في بادئ الأمر ثم تفرد ببعض الأمور و تميز بها عنهم فأجاد

[1] المصدر السابق : ص 05.
[2] د محمد علي سلامة :الأدب العربي في الأندلس ، ص 333.

في الحالتين و قد تناول في شعره معظم الأغراض الشعرية المألوفة كالمدح والوصف لاسيما وصف الطبيعة و الفخر و الرثاء و الغزل و البطولات و الوطنية و العتاب و الاعتبار و الشوق و الحنين و غير ذلك.

و في المدح قد مدح الملوك و هم ملوك المرابطين لما قاموا به من أعمال ردت الأندلس إلى حاضرة الإسلام و العرب و مدح الأمراء و القادة و ذكر بطولاتهم وأعمالهم الجليلة[1]

قل لمسرى الريح من اضم و لياليا بذى سلـــم

طال ليلي في هوى قمـــر نام عن ليلى و لم انم

و قد سار على نهج الأقدمين فقد مهد لمدحه بمقدمة غزلية ثم يصور الأمير بعد ذلك بأنه فارس مقاتل للاعداء بأبيات تفيض بالحماسة فيقول [2]

ياله من فارس نجـــد لو نضا عن صارم خزم

و ارتدى منه على غضب بحسام غير منثلـــم

فكان بعض مدائحه مقلدا لكبار الشعراء السابقين كالمتنبي حين مزج مدحه بالحماسة و كالشريف الرضى و مهيار الديلمي حين مزج مدحه بالغزل مع ذكر بعض الأماكن الحجازية و في البعض الأخر له طريقا مزيدا فيه حدة حين بدا مدائحه بوصف الطبيعة[3].

و بعد المدح يأتي الرثاء و كان فيه صادق العاطفة شديد الحزن لاسيما حين يرثي احد أصدقائه المقربين مثل مرثيه لصديقه أبي محمد عبد الله بن ربيعة واحد أقاربه مثل مرثيه لابن أخته (محمد) .

[1] أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي : ديوان أبو إسحاق ابن خفاجة الأندلسي ، ص106 .
[2] المصدر نفسه : ص 340 .
[3] د علي محمد سلامة :الأدب العربي في الأندلس : ص340 .

و قد توفي الصحراء فيقول فيها[1]و هي تحمل العديد من المعاني و العواطف التي فاضت و دلت عن الوفاء و الإخلاص

و استقبل الدنيا بذكر محمـــــد .....فيقبح في عيني ماكان يملح

و اشفق من موت الصبي ثم انني ..... لامل ان الله يعفو و يصفح

و لابن خفاجة مرثية أخرى في إخوان له مزجها بندوب شبابه و ختمها بمدح ابن زهرة ،و لم نجد غيره اتبع هذا الأسلوب في مزج العزل بالرثاء أو المدح أو ندب الشباب ببكاء الموتى فكان وحيدا في سلوك تلك الدروب المغرقة في المحاكاة و التقليد[2] فكان له أسلوبه و إبداعه الخاص.

أما وصفه فجاء تصويرا حيا بكل ما وقعت عليه عيناه و سائر حواسه الأخرى من مشاهد الحياة و الطبيعة ،فكان مفتونا بالطبيعة و يتحلى مباهجها فتملئ نفسه حبورا و يبدع في تصوير محاسنها و قد ادخل وصف الطبيعة و محاسن الجيب في الغزل مستمدة من محاسن الطبيعة باكية في الرثاء ،فضلا عن مقدماته الطويلة في وصف الطبيعة حتى تكاد تكون غرضا قائما بذاته

مما حدا بمؤرخ الأندلس (المغرى) أن يطلق عليه لقب (صنوبري الأندلس) تشبيها بالشاعر المشرقي الصنوبري و الذي اشتهر بشعره في وصف الطبيعة ،كما أطلق عليه آخرون بأنه شاعر الطبيعة الفذ و منهم الدكتور سامي مكي العاني[3]

و من الأغراض الأخرى عند ابن خفاجة الغزل ،و معظمه غزل حين يتحدث فيه عن مفاتن المرأة و جمالها من بشرة بيضاء و عين حوراء و قامة هيفاء و قد ممشوق ووجه مشرق إلى غير ذلك ، و له غزل بالمذكر و هو بعيد عن الفحش

[1] المصدر السابق : ص 267 .

[2] محمد رزيق السعيد : الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، المؤسسة العربية للتأليف ، الأردن ، ط ،1979 ، ص28.

[3]ينظر : دراسات في الأدب الأندلسي : د/ سامي مكي العاني ، الجامعة المستنصرية ، القاهرة ,مصر , ط1 ، 1978,ص 145 .

والابتذال ،كما له غزليا عفيفة خالية من الأوصاف الحية أشبه بالغزل العذري لجميل و بثينة و مجنون ليلى و غيرهما منها قوله[1].

لقد زار من اهوى على غير موعد نعانيت بدر التم ذلك التلاقيـــا

و عاتبته و العتب يحلو حديثـــه و قد بلغت روحي لديه التراقيـا

فمل اجتمعنا قلت من مزحى بـــه من الشعر بيتا و الدموع سواقيا

و قد يجمع الله الشتاتين بعدمـــا يظان كل الظن ان لا تلاقيـــا

و في بعض الأحيان كان بن خفاجة يخالط غزله بالحماسة من ذلك قوله[2]

مضاء سل الحسام من الغمـــــد و حزم كما طار الشرار من الزند

العقيدة طويلة جدا لا يتبع البحث لذكرها برمتها.

و هكذا برع ابن خفاجة في كل الفنون الشعرية التي طرقها و سنرى ذلك من خلال البحث و ما خصصناه لاختيارات من شعره.

5/ أسلوبه :

امتاز أسلوب بن خفاجة بالجودة و التمكن من اللغة و إن تعدد الصور في البيت الواحد دليل على إبداعه و جودة نظمه و نبدأ بمطلع العقيدة فتارة يلتزم بالمقدمات الغزلية و التقليدية التي سار عليها معظم شعراء الأندلس ،و تارة يتخلص منها فيدخل إلى الغرض الرئيسي من القصيدة مباشرة لا سيما في وصفه للمعارك الحربية كقصيدة التي يتحدث فيها عن النصر المبين الذي حققته مدينة (بلسنية) فقد بدأها بمطلع ممتاز يقول فيه [3]

الان شح غماد النصر فانهملا و قام صفو عمود الدين فاعتدلا

[1] أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي : ص 365 -366 .
[2] قيس بن الملوح : ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ،ص 346 .
[3] المصدر السابق : ص 208.

و لذلك عد هذا المطلع من أحسن مطالعه[1]،و لابن خفاجة قصيدة في وصف الجبل بدأها بمطلع يتناسب مع شموخ الجمل بدأها بالخطة و الاعتبار[2].

أما المفردة فقد منحها امتداد جديدا ،و معنى ظريفا ،و ملاها حيوية و انسجاما وإيحاءا و خيارا كلفظة تسافر في هذا البيت .

تسافر كلتا راحتي بجسمـــــــــــــه فطورا الى خصر و طورا الى نهد[3]

[1] شهاب احمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر ،بيروت ،لبنان ، ط1 ،1968 ,ص214.
[2] المصدر نفسه ،ص 215 .
[3] المصدر نفسه ، ص 6 .

المبحث الأول: المدح

ازداد تعاظم الروح الدينية في الأندلس و المغرب و مصر و الشام و العراق لأسباب كثيرة لعل أهمها :

حرب الفرنجة :أو ماسماها الغرب بالحروب الصليبية التي أتت إلى الشام و مصر و تريد احتلال بلادنا وسلب خيراتها ،و هدم ضريح النبي (ص) في المدينة المنورة كما شهدت مثيلا لها في الأندلس أيضا بعد ضعف العرب[1]

زمن ملوك الطوائف الذي أصبحت فيه البلاد إمارات صغيرة متناثرة ضعيفة ،الأمر الذي اضعف نصارى الشمال بها ،فهاجموها و احتلوا طليطلة و غيرها ،و فرضوا عليها الإتاوات التي دفعها ملوكها صاغرين.

انتشار موجة الزهد و التصوف انتشارا كبيرا في المغرب و المشرق على حد سواء بتأثير متصوفين كبار ،مثل الشهر وردي ،وابن الفارض و ابن عربي و البوصري وغيرهم ممن سبقوا هذا القرن و لكن أثارهم ظلت مستمرة باقية إليه ،و لقد قرب رجالات الحكم هؤلاء المتصوفة و فتحو لهم مجالسهم في بين ثنايا الحكام و أنشدو ودونوا كثرة الطواعين و الأوبئة و المجاعات و الزلازل و الجوائح التي تلاحقت على البلاد فلم يجد أهلها سوى العودة إلى الله لينجيهم ،وكان العود عن طريق التصوف الذي كان يرى – ولم يزل–إن الرسول صلى الله عليه و سلم هو المثل الأعلى والإنسان الكامل و أفضل الخلق و سر الكون ،و عليه الوجود ،و عماده الرئيس و قوته المدبرة ،و الوساطة بينه و بين الحق و سبب الهدايا [2] مما أدى بالشعراء لنظم القصائد في مدحه و تعظيمه و حبه ،و الشوق إليه.

[1] محمد بن عبد الله سعيد السلماني : دار الثقافة ، ط1 ، 1989
[2] ينظر المصدر نفسه .الصفحة نفسها

كما تأثر الشعراء أيضا بما رأوه من تعظيم النصارى للسيد المسيح و تمجيده و ميلاده ،بانتشار عادة .....الناس بالرسول صلى الله عليه و سلم و عناية المماليك بوسم الحج و محمله و قوافله و احتفالهم بذلك احتفالا كبيرا ،وما فعله و زير الملك الظاهر بيبرس تاج الدين بن بهاء الدين بن جنا من جمع الآثار النبوية

و إيداعها في مكان واحد يليق بها في القاهرة كل ذلك أجج الشوق في قلوب الناس عامة لاسيما منها المتصوفة منهم فندفع كثيرا منهم إلى المدينة المنورة مهاجرا ليكون جارا للرسول صل الله عليه وسلم يروي بذلك ظمأ قلبه المحب المشتاق[1] .

هذا ما حرر على الإنشاء والإبداع و هذا العامل كان له وقعا خاص في النفوس فمكانته صل الله عليه وسلم لم تكن بالهينة في النفوس وكانت حافزا مباشرا .

و نضيف إلى ما تقدم فكرة إن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ميت التي شاعت لدى كثيرا و بخاصة المتصوفة منهم و هي آتية من الحديث النبوي رواه أبو هريرة.

ووصف النووي سيده بأنه صحيح في رياض الصالحين[2]. وهو " ما من احد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام " و قد شرحه صاحب فيض القدير المنواي بقوله " يعني رد علي نطقي لأنه حي على الدوام و روحه لا تفارقه أبدا لما صح أن الأنبياء أحياء في قبورهم و هذا ظاهر في استمرار حياته لاستحالة ان يخلو الوجود كله من احد يسلم عليه .[3]

مما تقدم نستطيع أن ندرك الأسباب المباشرة و غير المباشرة لازدهار فن المدح النبوي ،و إكثار الشعراء من قصائده و تباريهم في ذلك و لعل اسبقهم في ذلك الحسن بن أبي الحسن ملك النحاة المتوفي (568) هـ الذي من الممكن أن يكون احد ملهمي البصيري في (بردته) التي فاقت غيرها في جودتها و سيرورتها و إيحائها كثيرا من

[1] احمد فوزي هايب : الحركة الشعرية في زمن المماليك، الشركة المتحدة للنشر و التوزيع ،الاردن ،ط1، 1900، ص 100-103 .
[2] رياض الصالحين ،للامام محي الدين ابي زكريا يحي بن شرف النووي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ،دط ، ص 530
[3] عبد الرؤوف المناوي : قيطن القدير ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1972 ، ص 530 .

الشعراء .[1] و هكذا تراوحت الصدارة من وقت لأخر بين شاعر و شاعر و جاد كلهم في حوض المديح و أتقنوا جيلا بعد جيل

و يبدو كذلك انه من الصعوبة بما كان أن نميز أعلاما معينة من هذا الفن أعلاما معينة من هذا القصر المملوك الثاني ،ذلك انه ما من شاعر إلا و كان له إسهاما وافرا في فن المدح النبوي . هذا يمكن القول أن غرض المديح شكل ظاهرة ثقافية بارزة في الديوان الشعري عند العرب، وذلك لأنه من أكثر الأغراض الشعرية التي قال فيها العرب و اهتموا بها إذ قلما نجد شاعرا يخلو ديوانه من غرض المديح،لأنه قائم على أعراف و نظم يجب أن يلتزم بها الشاعر عندما يمدح " و لهذا كان اهتمام أولي الأمر و السلطة الشديد بالمدح و كان عطاؤهم و محاسبتهم لشعرائه ينم عن معرفة و وعي لخطورته ، وكان كذلك حال الشعراء في استعدادهم له و إرهاقهم أنفسهم في سبيلهم و تنافسهم المحموم في ميدانه [2].

و يمكن القول أن شعر المديح نشا إعجابا بالفضيلة و ثناءا على صاحبها أول الأمر و ليس بدافع الكسب و التملق ،فمن عوامل انتشار المديح في مجتمعات الصحراء تلك المقدسات التي كانت و كانوا يلتزمون بها من ضيافة و نجدة و حسن الجوار و الثار التي كان يلتزم بها كل عربي و يؤدي فروضها كاملة مهما يكن شانه.

فالمديح أول أمره كان مدرسة أخلاق تعمل على بلورة المثل العليا و ترسيخها و حث الناس على تشجيعها[3] و ذلك بشكل واسع فكان الشعراء يمدحون به سادتهم و كبارهم و أشرافهم و مناقب قبائلهم ،و يمدحون القبلية التي يجدونها فيها كرم الجوار فضلا عن عزتها و إبائها ،و شجاعة فرسانها ،و ما فيهم من الحمية والشجاعة بالفتك بأعدائهم و إكرام ضيوفهم و رعاية لحسن الجوار الذي يرتبطون به مع القبائل الأخرى فكان الشاعر الجاهلي يمدح هذه الصفات الأخلاقية التي عرف بها المجتمع الجاهلي .

[1] احمد فوزي هايب: الحركة الشعرية في زمن المماليك ، ص 103.
[2] سامي سويدان : في النص الشعري العربي ،دار الأدب بيروت ، ط1 ،1989 ، ص، 109 .
[3] أروع ما قيل في المدح، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1992 ، ص 12 .

و منذ نهاية العصر الجاهلي و أواخره حدث تطور ثقافي تغير معه النسق الثقافي العربي منذ ذلك الوقت إلى اليوم و تحولت النعر القبلية إلى الأنا الفردية مثلما تحولت القيم من بعدها الإنساني إلى بعد ذاتي نفعي أناني و تحول الخطاب الثقافي إلى خطاب كاذب و منافق ،هو اخطر تحول حدث في الثقافة العربية و اثر تأثيرا سلبيا ويعني به ظهور شاعر المديح و ثقافة المدائح و شخصية المثقف المتاح و في مقابلها شخصية الممدوح مع لعب الثقافة لهذه الأدوار جميعا عبر أشخاص يمثلون اللعبة ويحققون نسقيتها و تمخض عن ذلك أنماط من القيم و السلوكات الفردية [1]

هذا التحول إلى مدح الأنا أدى إلى منافسة شرسة و لدت كثيرا من الأنانية و التي بدورها و لدت العداوات و البغضاء .

يبدو انه من الصعوبة بما كان أن غير تعريفا راسخا لهذا الفن ،ذلك انه ما من شاعر إلا و كان له إسهام وافر في المديح النبوي

لقد كان هذا الفن سيد الفنون و الغالب عليها من ذلك العصر و مما دفع الشعراء إلى هذا هو الإسهام الكبير أن الدين كان صاحب الغلبة في المجتمع ،و أن سلاطين الدولة الثانية ساعدوا على توجه الناس إليه إذ شجعوا التصوف و اهتموا بالمواسم الدينية اهتماما لا مثيل له ،اهتموا بمواسم الحج " و ظهرت المحامل و ما رافقها من احتفالات دينية في الذهاب و الإياب ،كل ذلك كان يضفي الأحاسيس الوجدانية الصادقة ،و التي تعبر اصدق تعبير عن نفسية الشعب بشكل عام [2].

و كان السلاطين يحضرون هذه المواسم بأنفسهم ،و خاصة مواسم المولد النبوي الشريف ،و يحيطونها بهالة من التقديس و التكريم و بتوزيع الخلع و الأطعمة والحلوى ،و منح المال على شكل هبات للفقراء و من يحضرون مثل هذه المواسم كل وذلك أسهم بحد كبير في نشوء فن الموالد النبوية شعرا و نثرا في الأدب العربي في عصوره المتأخرة ،إذ تسابق الكتاب و الشعراء إلى وضع هذه الموالد ،و السعيد منهم من كان

[1] عبد الله الغدامي :النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي ،المملكة المغربية ، الدار البيضاء ، لبنان ، بيروت ط3،2005، ص 119.
[2] د/سامي يوسف أبو زيد : أدب الدول المتتابعة ،دار المسيرة للنشر و التوزيع ط1 2012 ،ص 218 .

مولده يقرا في احد المواسم ، و من هذه المواسم الدينية ،احتفال ليلة نصف عاشوراء واحتفال عاشوراء ،مما لا يزال متبعا إلى يومنا هذا[1].

لقد تعددت المعاني و أوصاف المديح التي انتح بها شعراء شعر المدائح النبوية منذ أن نشا إلى عصرنا هذا ،و كثرت فيه المعاني، و طرق فيه المادحون كل سبيل في مدح المصطفى –صلى الله عليه و سلم – فقد بلغ عدد شعراء المديح النبوي أربعا وخمسين و أربع مائة شاعرا بحسب إحصاء الدكتور احمد درنيقة في كتابه "معجم أعلام شعراء المديح النبوي".

و قد تنوعت معاني المديح بين مدح الأوصاف الخلقية و بين الثناء على سماته الخلقية و مع أن كثرة كاثرة من هؤلاء الشعراء و المادحين جاؤوا على معظم الصفات التي يمكن أن يمتدح بها ،مع ذلك أنهم اعترفوا بأنهم لم يوفوه حقه من المديح و إن ما قالوه لا يعدوا إلا أن يكون قطرة من بحر و غيضا من فيض ،بل أن معجزاته و آياته و فضائله أعجزت الفصحاء و البلغاء ،و عظمت و حلت أن يبلغها الإحصاء حتى قال المعزي " منافح العقول في مدائح الرسول".

كذلك مدحته فاقنع بموجزها فليس يحصرها قال و لا قيل

فإذا تأملنا في قصائد المادحين و أشعارهم قديما و حديثا نجد أن هناك معاني مشتركة كثيرة بين المادحين مع تميز البعض العصور على بعض و بعض المادحين على بعض إلى غير ذلك من المعاني الحسنة التي نحن بصددها ، و لكن إذا أردنا أن نتبع المعاني التي ثبتت خلال قصائد المديح النبوي ،فلا بد لنا أن نقف وقفة طويلة عند البوصري الذي انتشرت قصائده المدحية و ذاعت في الأفاق بين المسلمين ، يقول الدكتور زكي مبارك " فعن البردة تلقى ناس طوائف من الألفاظ و التعابير عنيت بها لغة التخاطب ، و عن البردة عرفوا أنواعا من السيرة النبوية[2].

[1] د/سامي يوسف أبو زيد : أدب الدول المتتابعة ،ص 218 ..
[2] ينظر :المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

شكل غرض المديح ظاهرة ثقافية بارزة في الديوان الشعري عند العرب ذلك لأنه أكثر الأغراض الشعرية التي قال فيها العرب و اهتموا بها إذ قلما نجد شاعرا يخلو ديوانه من غرض المديح ،لأنه قائم على الأعراف و نظام يلتزم به الشاعر عندما يمدح " ولهذا كان اهتمام أولي الأمر و السلطة بالمديح و كان عطائهم و محاسبتهم لشعرائه ينم عن معرفة و وعي بخطورته ،و كان كذلك حال الشعراء في استعدادهم له وإرهاقهم أنفسهم في سبيله و تنافسهم المحمود في ميدانه".[1]

و على هذا الأساس كان الشاعر يلتحق بالسلطة القائمة كونها هي المسئول الأول على المجتمع و المال الذي يبتغيه الشاعر جزاء مدحه .

المبحث الثاني : المدح النبوي.

أما فيما يخص المديح الديني على وجه الخصوص ،فدارت المعاني و الضامنين حول شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم بجميع أبعادها ،و ذلك أن الشعراء استغلوا كل صغيرة و كبيرة في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و ردت في السير و الأخبار ،فجعلوها مضمون لشعره حين يمدحونه، و من أهم هذه المضامين المقدمات التي سبقت ولادته الكريمة ،فأخبار حياته قبل البعثة و خصائصه التي اختص بها بين الأنبياء و كراماته التي عرفت عنه و سيرته بين أصحابه و المكانة العليا التي وضع فيها بين الأنبياء و الناس ،و أخيرا ما عرف عنه من فضائل و صفات ، و يعتبر حسان بن ثابت من أوائل شعراء المديح النبوي فقد حمل شاعر النبي صلى الله عليه و سلم. و لعل أشهر قصائده في رسول الله و صحابته قصيدته العينية و التي مطلعها.

ان الذوائب من فهر و اخوتهم قد بينو سنة للناس تتبع[2]

فاختص الشعر المدحي برسول الله و صحابته الأجلاء و تمجيدا له و لهم و ذكر ماصدر منهم من محاسن القول و العمل.

[1] سامي سويدان : في النص الشعري العربي ، ص 109.
[2] ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط2 1994 ،ص 248.

و منها إظهار الحب و التأييد و التقرب إلى الممدوح.

و من بين مضامين غرض المدح ،إظهار الحب الفائق للممدوح و تقربه الشديد إليه رجاء نوثق الرابطة و استمرارها بين المادح و الممدوح و خاصة إذا كان من بين ذو السلطة و الحكم.

ففي هذا المضمون يتغنى ابن سميط بمديح عين من أعيان عمان السيد سلمان الحارثي فيقول:[1]

و حق الهوى مافي الفؤاد سواها و لا دين لي في الحب غير ولاها

و ما راق لي من بعدها حسن منظر و لم يحل عيش بعد مر نواها

فلا تعجبوا أن همت فالنفس بالهوى تغذت و دانت في أوان صباها

إلى أن قال:[2]

كريم من العرب الذين قـــــد زكوا في رياض الجود فهو جناها

فطابت لطيب الأصل أوصافه ألا ترى كل ثغر عاطرا شبراهـــا

مزاياه لو أبصرتها في كمالـــه رأت نجوما قد زهت بسماهـــا

و منها الترحيب بضيف عزيز :

اتخذ شعراء المنطقة أسلوب امتداد الضيف المعظم عندهم مقدمة لقراه و ذلك سيرا على دين العرب الخلص الذين اقتبسوا منهم قول الشعراء الذين نهجو ذلك المنهج منذ الجاهلية إلى يومنا هذا ،كما نلاحظ خلال السيرة النبوية الشريفة كيف طرب الأنصار بقدوم الرسول صلى الله عليه و سلم بأنشودة استقباله:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا مادعـــــا لله داع[1]

[1] الحبيب عمر بن احمد أبي بكر بن سميط ،. عبد القادر بن عبد الرحمان بن عمر :نبرة من حياة العلامة ،دط ، ص35.
[2] المرجع نفسه ،ص 36.

و كما نقرا قول عمر بن الأهتم الذي يعبر فيه على سروره البالغ بقدوم ضيفه فيقول:

أضاحك ضيفي قبل إنزال حلــه و يخصب عندي و المكـان جديب

و ما الخصب للاضياف في كثرة القرى و لكنما وجه الكريم خصيـــب

فشعراء هذا النوع كذلك سارو – بل ولا يزالون يسيرون– على ذلك النهج حيث انه إذا قدم إليهم ضيف عظيم ،يؤلفون فيه قصائد مدح و إكرام و ترحيب.[2]

من المنن النعمى من النعم الكبرى عليكم أهالي ذي جزيرة الخضرا

خصصتم به نضلا و جودا ومنة و انتم لها اهل و انتم بها أحرى

إلى أن قال .[3]

و لا شك أن الفضل في ذلك راجع إلى خحضرة السار الذي قد علا قدرا

سعيد المغزى الزعيم الذي رقـــى إلى الرتم القعشاء و قد بذل النهـــرا

حميد المساعي الرفيع عمـــادة و عند الصباح قد يحمد الســـرى

و ينظم شاعر أخر في المضمون ذاته ينوه بجلالة أمير الإمارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان و يشكره على خيراته المسداة إلى المسلمين.[4]

قل ما تشاء فان القول مقبـــول في زايد الخير من في القلب محمول

و عطره الكون في ذكرى محاسنه فان ذلك في ذا الشيخ مأمـــول

أطنب و أسهب فقد بانت شهامته من و الله فيه كلام المدح معســـول

إلى أن قال:[5]

---

[1] البيهقي :دلائل النبوة للبيهقلي ، تحقيق د/عبيد المعطي ، ج1 ،باب حديث سعد بن معاذ ،ص 406

[2] احمد بن علي القلعشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق :يوسف علي الطويل ، دار الفكر ،دمشق ،ط1 1987 ،ص 112

[3] الشيخ بن نايف السحود :موسوعة الخطب و الدروس باب الحب في الله ،ص1 .

[4] المرجع السابق ،ص 10.

[5] قصيدة محفوظ السعيد علي حسن.http://www.alshibami.net ، الساعة 22:00 ، بتاريخ 2015/02/12 .

كم من مساجد قد شيدت بعونكـم و كم من مدارس يصدق فيها القيل

منها التي في مماسها امتد منهجها من نورها في يهتدي الجيـــل

يمكن القول من خلال من سبق أن أغراض المدح عديدة و متعددة و قد أدلينا بما تيسر منها و ركزنا على الأهم و المهم ،أما فيما يخص المدح العام ,فمضاربه كثيرة ومأربه حثيثة ،و كل شاعر قصده و مبتغاة و هده الذي أراده.

إن نشأة المديح عند العرب كانت إعجابا بالفضيلة و ثناء على صاحبها أول الأمر و ليس بدافع الكسب و التزلف ،فمن عوامل انتشاره في مجتمعات الصحراء تلك المقدسات التي كانوا يلتزمون بها من ضيافة و نجدة و حسن جوار وثار التي كان يلتزم بها كل عربي يؤدي فروضها كاملة مهما يكن شانه ،فالمديح في أول أمره كان مدرسة أخلاق تعمل على بلورة المثل العليا وترخيصها ,وحض الناس على تشجيعها [1].

وذلك بشكل واسع فكان الشعراء يمدحون به سادتهم و كبارهم و أشرافهم و مناقب قبائلهم و يمتدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار فضلا عن عزتها و أبائها و شجاعة فرسانها و ما فيهم من الحمية و الشجاعة بفتك أعدائهم و إكرام ضيوفهم و رعاية لحسن الجوار الذي يرتبطون به مع القبائل الأخرى فكان الشاعر الجاهلي يمدح هذه الصفات الأخلاقية التي عرف بها المجتمع الجاهلي.

و منذ نهاية العصر الجاهلي و أواخره حدث تطور ثقافي خطير تغير معه النسق الثقافي العربي منذ ذلك الوقت إلى اليوم و تحولت فيه النعر القبلية إلى الأنا الفردية مثلما تحولت القيم من بعدها الإنساني إلى بعد ذاتي نفعي أناني و تحول الخطاب الثقافي إلى خطاب كاذب و منافق هو اخطر تحول حدث في الثقافة العربية و اثر تأثيرا سلبيا و نعني به ظهور شاعر المديح و ثقافة المدائح و شخصية المثقف المداح ،و في مقابلها شخصية الممدوح مع لعب الثقافة لهذه الأدوار جميعها عبر أشخاص

[1] ينظر :أروع ما قيل في في المديح ،ص 12 .

يمثلون اللعبة و يحققون نسقيتها ،و تمخض عن ذلك أنماط من القيم و السلوكيات الفردية .[1]

و هذا ما فعله النابغة الذبياني في مدائحه للنعمان ،و كذلك الأعشى و حسان بن ثابت و غيرهم من الشعراء في العصر الجاهلي.

أما في العصر الأموي فقد كان الأمويون يركزون على الشعر كجانب إعلامي يهمهم في المجتمع العربي ،فكان للشعر العربي تأثيرا في النفوس و نزلة في الدولة الأموية بشكل كبير ،إذ أن النهوض بالدولة الأموية حمل معها نهضة شعرية جديدة تمثلت في الشعر السياسي فقد نشط في الشعر المدحي إبان الحقبة الأموية كثيرا من الميادين السياسية إن لم يكن جلها فقد استغل حكام بني أمية أمور عديدة للإعلان عنها و ترويجها بواسطة هذا الشعر مثل ولاية العهد و الترويج للسياسة الأموية و أفعالها في المجتمع العربي.

و منذ مجيء الإسلام عمل الرسول صلى الله عليه و سلم على تكوين منظومة أخلاقية و اجتماعية و سياسية رصينة ،فهي نظام شامل للحياة بجميع أنواعها و جوانبها ،و من الطبيعي أن تأخذ على عاتقها نبذ الأنساق الجاهلية السلبية و إبدالها بأنساق ايجابية .[2]

فالإسلام نظر إلى عدم الإسراف في استعمال القسوة و العنف و الحماسة و الجاهلية ،وكان موقف الإسلام من القوة و العنف موقفا دفاعيا فقط و لم يكن قط موقفا هجوميا ،و هذا ما تؤكده الآيات القرآنية "" و إن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله انه هو السميع العليم"[3] و قول تعالى "" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين"".[4]

[1] ينظر :النقد الثقافي ص 143 .
[2] ينظر :عبد الله العناسي ،النقد الثقافي ، ص 143 .
[3] سورة الأنفال ،الآية 61 .
[4] سورة الممتحنة ،الآية 8 .

و لكن مع عودة الأنساق الجاهلية مطلع العصر الأموي جاء هذا العصر دمويا و عنيفا و انشغل الشعر للدعوة إلى العنف و تمجيد القوة و العنف حاكى فيها الشاعر المظهر النفسي المختزل لديه،فوردت نماذج شعرية لديه و كثيرة في قصيدة المدح تشجع العنف و الدعوة له بقناع ديني استبدادي ،فجرير يمدح صفات القوة و الشجاعة في ممدوحة عبد الملك بن مروان قائلا:[1]

أنت الأمين أمين الله لا ســـــرف فيما و ليس ولا هيــابة ورع

مثل المهند لم تبهر ضريبتـــــه لم يغش غربيه تفليل ولا طبع

و أرى الزناد من الاعياص في مهل فالعالمون لما يفضي به تبــع

إلى أن يقول:

تلقى الرجال إذا ماخفيت صولته يمشون هونا و في أعناقهم خضع

ما كان دونك من مقضى لحاجتنا و لا ورائك للحاجات مطلـــع

إن الشاعر هنا يمدح صفات القسوة و العنف و التهديد و الوعيد التي توجد عن الممدوح ،فهذه الخطابات التي تشجع على القسوة و العنف لما لها تأثير كبير في تشجيع الحكام و تحفيزهم على المزيد من العنف و القسوة و سفك الدماء .

و يرسم العمل الفني و منه الشعر ملامح وعي إرهابي ،في سياقات فنية تقليدية بالضرورة لان الاشتغال المنفعل بالتجديد يبتعد عما يوحي بالإرهاب و يتصل بكل ما يوحي بالحياة و ازدهارها بصلة[2]

فالشاعر يحاكي التجليات المقدسة المرتبطة بالقوة الرهيبة و القدرة العالية و التفصيل الديني الذي تحضى به الملوك الإلهية منذ آلاف السنين.

[1] جرير بن عطية الخطفي :ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة و النشر ،بيروت،لبنان،ط1،1986،ص 295

[2] جميل بدوي حمد الزهيري : المحولات الثقافية في قصيدة ، المديح السياسية في العصر الاموي ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العراق ، 2013، ص 337 .

و بهذا فالعديد من النماذج الشعرية في غرض المديح تجري على وفق هذه الأنساق السلبية التي تأكد التزام شعرية المديح بالحقيقة الشعرية و الحقيقة التاريخية الماثلة ،فميل الشعراء إلى هذه الخطابات لم تكن غايتها الوحيدة تكسبية و إنما لها غايات ومداخل أخرى ،و إن كنا لا نعدم أن عددا من الشعراء كانوا معدمين ماديا ولكن هذا لا يختلف عما يعانيه المجتمع العربي من أوضاع مادية و اقتصادية صعبة ،و ذلك بسبب النهج السيئ الذي اعتمده الحكام ،مما أدى إلى تفاوت طبقي كبير.

و ربما يأتي السؤال عن أن هذه القصائد ما هي إلا رغبات و أفكار لأشخاص معدودين و هم شعراء حاولوا التزلف إلى الحاكم ،و بهذا فلا نستطيع أن نعتمد على هذا الرأي ،و ذلك لان الأفق الفكري للمجتمع في مرحلة تاريخية مالا يتحدد من خلال الرغبات الشخصية لإفراد معينين و إنما من خلال الأفكار الأساسية و المفاهيم السائدة في هذا المجتمع ،فالأسئلة التي هي السمة العقلية لأي عصر فكري،و تعكس هذه المشاكل حقيقة المعتقدات السائدة في المجتمع .[1]

فما ذكره هؤلاء الشعراء يتم في اتجاه ثقافي قوي يمجد هذه المعاني الحماسية والجاهلية "فكثيرا من الشعراء لم يستطيعوا أن يتخلصوا أن يتخلصوا من الانتماء القبلي القديم و ظلوا يفخرون بأنسابهم و أيام الجاهلية و مآثر أبائهم و أجدادهم في الشجاعة و النجدة و البأس ،و لعل الأمويين كانوا من أكثر الشعراء ميلا إلى هذا الاتجاه"[2]

أما عن المديح النبوي:

يعد المديح النبوي واحدا من أنواع الشعر العربي ،الذي تعددت أغراضه من زهد إلى تصوف،إلى مديح نبوي،و الحديث عن هذا الأخير شيق باعتباره منوطا بأشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و قبل الحديث عن نشأة المدائح الدينية والخوض في غمارها حري بنا و بالأهمية بما كان ان نقف على مفهوم المدحة النبوية و حدودها و العكوف على أنماطها و مبدعيها في العصور الأدبية قبل دراستها.

[1] كين روبسون : صناعة العقل ، ت (رامة صومالي) دار المعارف ،الأردن، ط1،2013، ص 90 .
[2] د/عبد الله الغذامي : القصيدة و النص المضاد ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 151 .

فالمدح لغة :عرفه الزمخشري بأنه " وصف الممدوح بأخلاق حميدة،و صفات رفيعة يتصف بها،فيمدح عليها ،فهذا يصح من الخالق جل شانه".[1]

فقد ورد في لسان العرب أن " المدائح مصدر مشتق من مادة مدح بفتح الحروف الثلاثة فيقال مدحه مدحا و ممدحة " بمعنى أحسن الثناء عليه و الجمع مدائح.[2]

و في المستطرف " وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها و يكون نعتا حميدا و هذا يصح من المولى عز وجل في حق نبيه صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى "[3]و انك على خلق عظيم"[4]

فالمدح إذا هو التغني بالخصال الحميدة و الإشادة بمناقب الممدوح و قد تطلق المدحة على ذلك الشعر الذي يتخذ موضوعه إثناء عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم.

أما اصطلاحا :فيعرفه غازي شيب انه: " لون شعري جديد صادر عن العواطف النابعة من قلوب مفعمة بحب صادق و إخلاص متين للنبي صلى الله عليه و سلم"[5]

و يعرفه جمال حمداوي بأنه ذلك الشعر الذي ينصب على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،بتعداد صفاته الخلفية و الخلقية و إظهار الشوق لرايته و زيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ،مع ذكر معجزاته المادية و المعنوية و نظم سيرته شعرا و الإشادة بغزواته و صفاته المثلى و الصلاة عليه تقديرا و تعظيما .[6]

إن ما نستشفه من هذين التعريفين ،إن المديح النبوي فن من الفنون الأدبية له قالب

[1] الزمخشري : ابوالقاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة،دار صادر بيروت ،دط 1965 ، ص 585 .
[2] ابن منصور ابو الفضل جمال الدين : لسان العرب ،مادة مدح ،دار صادر، بيروت، دط 1965 ، ج2 ، ص 590 .
[3] شهاب الدين بن محمد الابشهي :المستطرف في كل مستطرف ،دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1422 ه .2001 م ص 342
[4] سورة القلم ،الاية 04 .
[5] شهاب الدين محمد بن احمد الاشبيهي :المستطرف في كل مستطرف ،عالم الكتب ،بيروت ،ط1،1419ه ، ص 342 .
[6] جميل حمداوي :شعر المديح النبوي في الأدب العربي،منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط1 ،2007، ص1 .

شعري نابع من قلوب متشبعة بالإيمان ،ينظم اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم و يشيد بكل ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم سواء أكان ماديا أو معنويا من ذكر لأخلاقه الحسنة ،و ما قام به من غزوات،و الأماكن التي كان يتردد عليها

المبحث الثالث :المديح في العصور.

1/ المديح في العصر الجاهلي:

كان المجتمع العربي قبل البعثة يحكمه نظام قبلي و علاقة القبائل ببعضها بعض ،تقوم غالبا على العداء ،فالقبيلة مغيرة أو مغار عليها و لكل قبيلة شاعر يرفع ذكرها ويتغنى بمفاخرها و يهج أعدائها و كل فرد في القبيلة متعصب لقبيلته و على القبيلة أن تحميه و تدافع عنه ،فالفرد من القبيلة و إليها حتى ليقول الشاعر دريد بن الصمة:

و ما أنا إلا من عزية إن غوت غويت و ان ترشد عرية ارشد[1]

و قد تعددت الأديان بين العرب و اختلفت المذاهب و كان أكثرها انتشارا عبادة الأوثان و الأصنام حتى اتخذوا لها أسماء وقد ورد ذكر بعضها في القران الكريم مثل اللات والعزى و مناة

و كان من العرب من عبد الشمس كما في بعض جبهات اليمن و قدموا لها الذبائح وعظموها إلا أن هناك طائفة لم تؤمن بالأصنام و لا باليهودية و لا بالنصرانية واتجهت إلى عبادة الله و حده و هؤلاء يسمون بالحنفاء و كان من بينهم ورقة بن نوفل و عثمان بن الحارث .

و قبل أن يشرق الإسلام ليجمع بين القبائل المتعادية و ليقيم عقيدة التوحيد على أساس عبادة الخالق ،و كان لزاما أن يتمثل في شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الحامل لمعجزة القران الكريم ،و الهادي للناس أجمعين .

عرف العرب بالشعر في ديوانهم ،فهو سجل لتاريخهم به تعرف عاداتهم وفيه تعرض مفاخرهم و بطولاتهم ،و الشاعر الذي تقام الأفراح لنبوغه لسان قبيلته ،فقد تشكلت

[1] دريد بن الصمة:الديوان ،دار المعارف ، القاهرة ،دط ، 1950، ص 273 .

القصيدة لديه من مواضيع شتى اعتمدت نسقا يكون متجانسا فالقصيدة على تنوع أغراضها ،لا يمكن إلا أن يتصدرها وقوف على الأطلال أو تغزل بامرأة ألفها القلب لفترة ،ثم ارتحلت إلى مكان بعيد أو مطلع نفسي يشتكي الشاعر من خلاله همومه التي تساقطت عليه دجى الليل و هكذا.[1]

و قد عرف الشعر قبل الإسلام أغراضا شعرية كثيرة و متنوعة و كان المدح واحدا من هذه الأغراض والمكانة فكثيرا ما استوقفنا مدائح زهير بن أبي سلمى الذي قال فيه عمر بن الخطاب انه لم يكن يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم الا بما فيهو في ظل

شيوع هذه الأغراض كان المديح النبوي نصيبه قبل البعثة المحمدية و من أقدم ما مدح به الرسول صلى الله عليه وسلم قصيدة الأعشى التي يقول فيها:[2]

الم تغمض عيناك ارمـــــــدا و بت كما بات السلم مهـــــــدا

و ماذاك من عشق النساء و انما اناسيت قبل اليوم خلة مهـــــددا

نبي يرى مالا ترون و ذكـــره اغار في البلاد و انجـــــــــدا

له صدقات ما تعب و نائـــــل و ليس عطاء اليوم مانعه غـــــدا

لكن هذا ليس من المدائح النبوية لان الأعشى لم يقل هذا الشعر و هو صادق النية في مد الرسول صلى الله عليه و سلم و أية ذكر انه انصرف حين صرفته قريش فقد حدثوا أن قريش رصدوه ،على طريقه حين بلغهم خبره و سألوه أين يريد ؟

فاخبرهم انه يريد محمدا ليسلم،فافهموه انه ينهاه عن الزنا و القمار و الربا و الخمر فقال له أبو سفيان هل لك في خير ما هممت به ؟

قال وماهو ؟ قال: نحن الآن في هدنة فلتأخذ مئة من الإبل و ترجع إلى بلدك نسألك هذه ، و ينظر ما يصبر إلينا أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا و إن ظهر

[1] ينظر:المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ،أطروحة دكتوراه ،عبد القادر البار ، جامعة أبي بكر ،تلمسان ،الجزائر ،2011-2012 ،ص 18 .

[2] الاعشي ميمون بن قيس : الديوان شرحه و قدم له مهدي محمد نصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ط2،1993 ،ص49 .

علينا أتيته فقال: ما اكره ذلك ،و جمع له أبو سفيان من قريش مئة ناقة فأخذها و انطلق إلى بلده فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله[1]

فقد نهل الشعراء لتخليد هذه الشخصية الكريمة و اختلفوا فيما بينهم و برز بعضهم في جانب معين و نقص في جوانب أخرى و اختلفت أفكار الشعر الشعراء و معانيهم باختلاف ثقافتهم و مراسمهم في فن المديح.

2/ عصر صدر الإسلام:

اتسم هذا العصر بالتغير و التحول و التجديد في أنماط السلوك الإنساني عند العرب و ذلك أن أبناء هذا الجيل قد تحولوا عقائديا من وثنية أغرقتهم ظلاما في تيه عميق من الجهل إلى أنقذهم به الدين الجديد و لم يكن شعر المديح النبوي بكل أشكاله واكبا لهذا التحول و التجديد فالنثر غالبا ما يكون أكثر طواعية في استقبال مثل هذه الدعوات الجديدة و هذا اقدر تصوير مراحل الانتقال ،بينما الشعر يحتاج إلى الروية والتأني في نظمه [2]. فالمحاولات و المجادلات كثيرا ما يضفى عليها طابع العقل على العاطفة و حينذاك يكون النثر أطوع في التعبير عن الشعر ،و هذا ما يفسر لنا مدى قلة الشعر الخاص بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم و مدى غلبة أسلوب التقدير على اغلب صوره الفنية و عدم قدرة بعضها على التخلص منها

3/ الشكل التقليدي :

فالشعر بكل مقوماته و عناصره يحتاج إلى وقت كاف للتفاعل مع الوقت و الدعوات الجديدة و لقد طرأت على المديح النبوي ملامح جديدة أضافت إلى المدح بصفة عامة قيما موضوعية و فنية و أسلوبية لعل أهمها أن لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم تبدو مثالية في التاريخ الإنساني لاشتماله على خصائص فريدة في التناول

[1] المجموعة النبهانية ،في المدائح النبوية ،أطروحة دكتوراه ،عبد القادر البار ، ص23
[2] المرجع نفسه ،ص 9 .

و كذلك فان كون عامل النبوة كان عاملا حاسما في لم جمع الشعراء المنصفين من حوله و حينذاك يتوفر عنصر الصدق الفني في تجربة الشاعر[1].

و بهذا يمكن اعتبار قصائد المديح هي القصائد التي قيلت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ،يتميز مثلا بالشفافية في الآخرة و هذه الصفة لا تقوم على النوال المادي فحسب ،و بهذا يمكن اعتبار قصائد المديح هي القصائد التي قيلت في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و كذلك ما قيل في غيرها من العصور و كل ما يدور حول الثناء عليه في أخلاقه و أعماله و صفاته ،فإذا بالشاعر في المدائح النبوية يتجاوز الملامح التقليدية على ما قد يشوبها من عنف و عدوانية أو فوضى الغزو والثأر للتحول إلى منضبطة ينبثق منها الحث الإسلامي الجديد و ينيبها الشاعر دائما إلى الدين فتتراءى في ملامح جديدة للبطولة و الشجاعة مجسدة صورا جديدة غير مألوفة.

يقول كعب بن زهير[2]:

إن الرسول سيف يستضاء به مهند من سوق الله مسلول

فصورة السيف الذي يستضاء به هي صورة غير مألوفة من قبل لانها تصور شخصية العادل الحاسم الذي يتبين للناس و يوضح لهم الطريق المستقيم و هذا البعد قلما يتوفر في شخصية جاهلية

و يقول كعب بن مالك[3]:

رئيسهم النبي و كان صعبا نقي القلب سمحا عزوفا

رشيد الحكم ذا حكم و علم و حلم لم يكن نزيا خفيفا

[1] يوسف النبهاني :المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 53 .
[2] المرجع نفسه : ص 9 .
[3] المرجع السابق : ص 67 .

و من هنا فقد أضفى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم معاني خاصة للممدوح لم تتوفر لسابقيه فلم تبقى الشجاعة و الاستبسال في القتال من اجل التباهي و التفاخر و السلب و النهب و إنما أصبحت من اجل رفع كلمة الله و الاستشهاد في سبيله.

4/ في العصر الأموي:

لقد كنا ننتظر أن يتطور فن المديح في العصر الأموي خصوصا بعد تهيؤ أسباب تطوره فقد توفرت نماذج فيه لهذا الفن كانت قابلة للمعارضات ،و لكن هذا الفن لم يلق العناية الكافية التي تكفل له الارتقاء و الازدهار ،فقد انحصر عند طائفة الشيعة و لم يقصدوا به مدح الرسول عليه الصلاة و السلام لذاته و إنما جاء المدح النبوي عرضا ،فقد اختلط بأفكار الشيعة و امتزج بالندب و البكاء فبات المديح في هذا العهد صوتا مبحوحا ،يتنفس الصعداء ،و لم تنل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالمديح و الثناء و من بين أسباب قلة المديح ما يأتي:

- انشغال المسلمين في المدينة بجمع القران و هذا ما أدى إلى تأخر السنة النبوية ذاتها.
- انتشار موجة الغناء و الرقص في مكة المكرمة و المدينة المنورة فقد أغدق

الأمويين عليهم ،الأموال فعاشوا في حياة مجون خصوصا الجيل الجديد من التابعين.

- اشتغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية ،فقد كان له أثره السلبي على تغيير الأفكار عند كثير من المسلمين.
- انتشار موجة الخلافات الدينية و السياسية بين المسلمين و اشتغال كل شاعر بمبادئ فرقته الدينية و مذهبه السياسي عن أفكار المسلمين عامة

هذه الأسباب و غيرها كانت السبب الأكبر في شح شعر المديح.[1]

[1] يوسف النبهاني :المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، ص 53 .

5/ العصر العباسي:

بدا هذا الفن بأشكال فنية متعددة في العصر العباسي نتيجة ظهور بعض الأوضاع المختلفة التي أدت إلى انتشاره و يمكن تحديد أهمها :

- تنازل بعض فرق الشيعة عن وقف العداء للدولة العباسية : و بالتحديد فرقة الكسيافية منها ،فقد ساعد هذا الأمر على خفة الحدة المذهبية عن بعض شعرائهم مما جعلهم يبحثون عن موضوعات فنية خالصة في نطاق دعوتهم فقد مدح السيد الحميري الإمام على كرم الله وجهه في قصيدة مطولة تصل إلى سبعين و مائة بيت ،و لقد ذكر في أبيات كثيرة منها مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم تناول سيرته في نسج قصصي جذاب.
- ظهور الحركة الصوفية و وازدهارها فعلى الرغم من أن شعر الحب الإلهي عندهم قد ظل له المكانة العليا عند شعرائهم فان المديح النبوي اخذ يتولد شيئا فشيئا ،حتى نال مكانة سامية عند اغلبهم في القرن الهجري السابع ،و من أهم شعرائهم القاضي عياض ،و أبو مدين المعري ،و ابن عرف،وابن جليب.
- الامتزاج مع بعض الحضارات الجديدة : فقد أدى هذا الامتزاج إلى اقتباس بعض أفكارهم مثل تبجيلهم للملوك و الأمراء و تقديس الأنبياء, فربما أدى ذلك إلى التأثر مما أسهم إسهاما فعالا إلى تقدم هذا الفن و انتشاره[1].
- انتشار العلوم المتخصصة في السيرة النبوية و علوم الحديث ،فقد أدى ذلك إلى إجلاء صورة النبي صلى الله عليه وسلم ,من خلال حياته و دعوته و غزواته.
- تأثر بعضهم بالماضي العريق للمديح النبوي خصوصا في قصيدة " بانت سعاد" لكعب بن زهير, فقد عارضها الشعراء..

و المدح هو ما يقصد به الثناء على الممدوح و ذكره بالجميل عن طيب نفس وهو ضد الهجاء .

[1] المرجع السابق : ص66 .

و انه من الأغراض الشعرية القديمة التي عرفها الشعر فمنذ نشأته نظمت فيه القصائد عبر العصور منذ الجاهلية إلى اليوم ،فلما سطع نجم الشعر في الأندلس لم يكن شعراء المنطقة إلى السعي وراء ذلك

أما المدح فذو شقين : أولهما المدائح النبوية و هو الشعر المخصص بوصفه والثناء عليه خلقا و خلقا و بيان شمائله صلى الله عليه وسلم و إعلان محاسن سنته إعجابا به و دعوة الناس إلى التأسي به .

و ثانيهما المدح العام :وهو الثناء الشعري المعنى به أي عظيم من الناس بدافع الإعجاب أو المصلحة

المبحث الرابع : أنواع المدح

1/ المدح العام :

فإضافة لألئك الشعراء بالمدح النبوي الشريف و ذكر شمائله و أوصافه الراقية التفتوا إلى المدح العام ،ترجمة للإعجاب النفسي الذي تحفظه القلوب نحو الآخرين سواء كان من منطقتهم أو من خارجها،نتيجة إحسان تلقوه منهم أو مساعدة أو زيارة أو غير ذلك مما يبهج القلوب الإنسانية[1]. و قد احتوى مدحهم هذا كذلك على عدة مضامين منها

– التعبير عن التهاني و الدعاء بالبركات للممدوح بمناسبة ظفره بكرمه من المكرمات

فيما يحظى واحد من معارف شاعر و محبوبيه بأمر عظيم عزيز المنال كتولي سلطة أو منصب من المناصب السياسية أو الوظيفية العالية أو غير ذلك.

يقوم الشاعر بنظم شعر معبر عن تهانيه له بمناسبة نيله تلك المكرمة ،و من بين شعراء المدح الذين أثاروا بشعرهم كل المناسبات نجد بن خفاجة إلا انه لم يكن شاعرا

[1] ينظر : الشعرب العربي في شرق إفريقيا (كينيا و تنزانيا) في العصر الحديث ،احمد سليمان سويي الأوغندي ، بحث تكميلي لنيل الدكتوراه في الأدبيات ، الجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام أباد ، باكستان ، 2010-2011 ،ص 102 .

مكتسبا بشعره ،نع ذلك نجد في ديوانه قصائد مدحية موجهة للحكام ،فقد مدح حكام الدولة المرابطين لدورهم في الجهاد و الحفاظ على الأندلس،و قصائد المدح عند بن خفاجة يسير عدد منها على القواعد المتبعة في قصيدة المدح المشرقية ،فنجده بين مقدمة القصيدة على الغزل و النسب و بيوت الفيافي ،في حين لا ينقطع عن الذكريات ،ثم يحسن التخلص إلى الممدوح فيذكر خصاله مشيدا بها ثم ينتقل إلى نهاية القصيدة فيختتمها بما يكون فيه حسن الختام من بيت أو بيتين فيهما بلاغة و احكام بحيث تبنى القصيدة على ختامها مؤثرة في نفس السامع ،و يقول في إحدى قصائده المدحية :[1]

ماذا عليك و قد نايت ديـــارا لو طاف بي ذاك الخيال فزار

و نظمت ماقبل بصفحة جيـدة عقدا و قد لبس العناق شعـارا

فيم التغلل في هواك و قد طوى مني اضنا وبك النوى أسرار

فهذه الأبيات هي مقدمة قصيدة له في المديح لا تكاد تميزها من شيلاتها من القصائد المشرقية في هذا الغرض كما نجد لابن خفاجة نمطا أخر من قصيدة المدح يتمثل في الاستهلال بذكر الممدوح و الثناء عليه.[2]

و يلاحظ أن بعضا من قصائد بن خفاجة المدحية تحمل طابعا أندلسيا واضحا فهي تستهل بالتغني بالطبيعة و مظاهرها.

و يقول في قصيدة أخرى:[3]

لذكر ما عب الخليـــــج يصفق و باسمك ما غنى الحمام المطوق

و من أجلك اهتز القصيب على النقى و اشرف نوار الربى يتفتـــق

و مـــاذا كالا خلقك رائـــــق يهز كما هز الرحيـق المعتـق

[1] ديوان ابن خفاجة ، ص 99
[2] المصدر نفسه : ص 99 .
[3] المصدر نفسه : ص 49 -92

لقد عايش بن ابن خفاجة فترة الحكم المرابطي و سجل معظم الأحداث التي مر بها عصره ،و لا سيما ما كان منها سياسيا يتعلق بأمن الدولة و حدودها و الغزوات التي غزاها الأمير أو التي ردها عن بلاده ،فعندما أقدم الأمير أبو إسحاق على افتتاح قورية كان ذلك مع قدوم فصل الربيع فارخ هذه الواقعة بقصيدة مد فيها الأمير أبو إسحاق و في مقدمة هذه القصيدة يعرب عن فرحته بعمل الأمير الجليل ،ويرى هذا العمل في دولة المرابطين كالربيع في الدنيا و يعدد صفات الممدوح مازجا بين هذه الصفات و عناق الطبيعة ،فالشاعر يبرز في مجال وصف الطبيعة و قد احتلت الطبيعة مكانا مرموقا في قلبه و شعره ،ولذالك كانت عناصر الطبيعة تمتزج في اغلب موضوعات شعره .[1]

ألا هل اطل الأمير الاجل ام الشمس حلت برأس الحمل

فمـــا شئت من زهرة نضرة تردى القصيب بهـا و اشتمل

اتانا الزمان به أخرا تهش إليه الليالـــي الاول

فلم ادر و الحسن منو لـــه أأبـــدا بالمدح أم الغـــزل[2]

و يوالي الشاعر المرابطين ولاءا مطلقا فيعد صفاتهم و إتعابهم و يعتز بتلك الألقاب[3]:

يشد اللثام علـــى صفحته ترى البذر منـــها بمرئى

ملثمون حياء كـــلما سفرت لهم وجوه المنايا في الوغى

و لما كان الشاعر يهدف إلى إبراز دور الممدوح في صد الغزاة و حماية حدود بلاده فقد تغنى بشجاعة ممدوحه و وصف أعماله في الحرب و السلم ،فهو شجاع

[1] ينظر : قصيدة المديح الاندلسية ، د فيروز الموسى ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،سوريا ،دمشق ،ص129 .
[2] ابن خفاجة : الديوان ، ص 102 .
[3] المصدر نفسه : ص 106 .

لكنه حليم غير متعسف ،كريم في السلم لكن إذا نشبت الحروب فيسبق سيفه يده،فالنصر معقود بقدومه.[1]

و هاهو و الحلم في طبعه هزبرا إذا ماحمى او حمل

يضيف إلى طعنة رشفـة هناك و للمزن وبل و طلل

و يلزمه النصر حبالـــه فان سارو و إن حل حـل

يمثل تصديه دون الهـوى تصد العدى و يسد الخـلل

و يصور الشاعر الوضع السياسي آنذاك متحدثا عن سيادة الأمن في بلده و مصورا الرعب الذي يملا قلوب الأعداء و راسما صورة جلية يظهر فيها مايكنه لممدوحه من حب و إعجاب.

و تظهر مقدرة الشاعر الفنية إذا استطاع أن يسبر أغوار النفوس و يصور حالة القلق و الرعب التي يعيش فيها الأعداء عندما يقدم على التصدي لهم ،فهم طغاة وهو صاحب حق يذود على أرضه و يتفانى في سبيلها [2]:

و تدمي الشفار و تحنى الفنى و تخمى الذمار و ترعى الهمل

و نتملا رعبا صدور العدى و تزعف باسا أنوف الاســـل

كفيل بادراك ما يبتـــــغي قفا اثر طاغية او قفـــــل

و هكذا يتجلى دور قصيدة المديح في التاريخ لسياسة الدولة ،و تسجيل أحداثها و ذم أعدائها و أعمالهم.

و يشد الشاعر بممدوحة من خلال عرضه للأمن الذي ساد في عصره فقد هدأت النفوس و سكنت الاضطرابات و دحر الأعداء و نفيت الهموم ،فكل إنسان حر مطمئن في دولة حكما بالعدل قائد شجاع و يرتفع قلم الشاعر مثلما يرتفع سيف القائد

[1] عبد الرحمان الحجي ،التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ،دار القلم ، دمشق 1986 ،ص 410 .
[2] ديوان ابن خفاجة ،ص 103 .

في وجه العداة منذرا مهددا بالتدمير و الحرق كل من يمس كرامة البلد ،و يقترب من حدوده أو يحاول الاعتداء على محرماته :

فقل لابن زدمير مهما تشز يقوم صفاك الأمير الأجل

يحرقك منه سنا شعلة هناك ويغرق طورا و شــل[1]

و هنا يبرز دور قصيدة المدح سجلا تاريخيا سياسيا يصور واقع البلد و يرسم صورة واضحة لكل ما يدور فيه.

و عندما حاصر أبو إسحاق حصر الموريلة في طريقة للثغر ظهور العروبة و رد خلال ذلك عهد من أمير المسلمين بولاية أبو إسحاق طور اشبيلية عوضا عن مرسية سجل أبو خفاجة أحداث الحصار و فرحة أبو إسحاق بولاية اشبيلية فخاطب قائلا :

"الأمير الجل أطال الله بقاءه ووصل في مراتب السعادة ارتقاءه حليف بما وهبه الله من شرف المحتد و كرم المولد إن تطلع إليه الأقطار النائبة تشوقا و تنافس فيه الأمصار الدانية تعشقا و حمص و إن كانت من البلاد الشريفة قدرا و الأعمال النبيهة ذكرا فإنها لتنزل عن مكانه و تدق من ميزانه و تخف من رجحانه و تصغر عن عظيم سلطانه فحقها أن تشوف إلى جلاله و تتشرف بخلاله و تهنا بملكه فشرفها به و وصل الله تأييده شرف الجثمان بالنفس و الحيوان بالحس....."

فقد أكد الشاعر من خلال خطابه الدور السياسي البارز الذي يقوم به الأمير في سبيل تحصين بلده و حمايتها من الغزاة و يعبر عن إعجابه بممدوحة.

و من ابرز مقومات قصيدة المدح السياسي عنصر وصف الجيش ،لان قوته من قوة الحاكم و قوة الدولة ،لذلك فقوة الحاكم تتجلى في امتلاكه و قيادته قيادة حازمة

أحطت به حصرا أحاطته تزلزل من أركانه و تضعضع

و لاباس ألا من سيوفك ينتضى و لا تسعد إلا في رماحـــك[1]

[1] المصدر نفسه : ص 90 .

و الجدير بالذكر أن صفة الجيش القوي كانت تمتزج بمدح القائد بالشجاعة الفائقة ،و ابن خفاجة لا يصف جيش بلاده و حسن قيادته فحسب و انما وصف جيش أعداءه الكثير العدد و العتاد و صور ذلك الجيش و هو يلوذ بالفرار ليدل على قوة ممدوحه القائد المرابطي و صلابة جيشه حتى استطاع أن يدحر جيشا قويا.

و يا رب جيش للعدو كأنه عباب خصم قد طمى يتدفع

عرضت له و اللي دونك جراة فأجفل إجفال النعامة تجزع[2]

هذه المعاني تستقى من رحاب قصيدة المدح التقليدية لان مدح القائد ووصف الجيش لا يمكن أن يكون مبتكرا ،و إنما هو معنى قديم قدم الحروب و الغزوات وباق مادامت الحروب مستمرة بين الدول و القصائد القديمة تحفل بهذه المعاني و ما قصائد المديح في ديوان أبي تمام و ديوان المتنبي و البحتري إلا أدلة واضحة على ذلك

و قد صاغ ابن خفاجة هذه المعاني صياغة جديدة و مستمرة من بيئته و ممتزجة بطبيعة بلاده فغدت و كأنها تقال لأول مرة[3]

و يبرز الأثر الإسلامي في اغلب قصائد المدح ليؤكد الشاعر من خلال ذلك أن العرب لا يحاربون تعسفا و ظلما و إنما دفاعا على كلمة الحق و اعلاءا لكلمة الإسلام

و تتجلى في مدح ابن خفاجة شاعر الود و الوفاء فهو موال المرابطين و هم حافزه على المدح بعد أن ابتعد عن قرض الشعر حقبة لذلك فهو صادق في عواطفه يظهر ذلك في خاتمة هذه القصيدة و هو يودع ممدوحه الذي سيرحل الى اشبيلية واليا عليها[4].

و فارقني صبري لذكرى فراقه و شافهني قبل الوداع يـودع

---

[1] ابن خفاجة : الديوان ، ص 87 .
[2] ابن خفتجة :الديوان ، ص 88
[3] ينظر : فيروز الموسى ، قصيدة المديح الأندلسية ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط 2009 ، ص 132 .
[4] المصدر نفسه ، ص 132 .

و كنت جماد العين أجمل مـــا فعلمني داي النوى كيف تدمع

فاستودع الله الأمير مهجـــة اشيعها فيمن هناك أشيع[1]

و من يتعمق في قصائد ابن خفاجة التي تصور الغزوات ، وما يتعلق بالحصار و الحرب و الجيش يدرك أن ابن خفاجة لم يكن كما وصفه معظم الدارسين يقلد ويورد المعاني التقليدية المتداولة في المدح

انه شاعر ملتزم صور أحداث بلده بصدق لا ينبغي التكسب و وظف قصيدته في خدمة بلده فلم تكن لمجر المدح فإنما كانت سجلا يستطيع القارئ من خلاله أن يتعرف على كثير من أحداث التاريخ

و بذلك يكون الشاعر الأندلسي قد رصد حركات مجتمعه و وقف غالبا في خدمة وطنه بعيدا عن التقليد الأجوف .

و حين سقطت بلسنية بيد القنبيطور اذفونس سنة 487هـ بعد حصار طويل ظلت خاضعة لاسبانيا حتى سنة 497هـ إذا أتم الله نصره بعد وصول المرابطين بقيادة أبي محمد عبد الله مزدلي و كان النصر في هذه الواقعة و استرجاع بلنسية حاسما في تاريخ الأندلس [2]

هذه المواقف التي وقف عنها بن خفاجة في شعره لم تكن لأجل حيلة من الحيل و إنما الوقوف على قضايا مهمة سادت بلاد الأندلس.

و كان ابن خفاجة من ابرز الشعراء الذين ابتعدوا عن الارتزاق بشعرهم ولعل ذلك يعود إلى كونه من ذوي الجاه و لا حاجة إلى التوسل الذي يذل الشعر و يدني مرتبته فقد تعددت قصائد المديح في ديوانه و لكنه كان مديحا للإشادة بأعمال المرابطين وشجاعتهم و بعضه لمد بعض الأصدقاء و السادة و من تلك القصائد قصيدة مدح

[1] ابن خفاجة الديوان : ص 88 .
[2] ينظر فيروز الموسى : نفسه ، ص 132.

فيها ابن خفاجة صديقه أبا السيد البطليوس استهلها بالمدح بوصف الطبيعة و يبرز فيها اثر الطبيعة في شعر ابن خفاجة بوضوح:[1]

لا ابرك ولا ماء بسح و بستان و ذكرك أم راح قـــــدار

ثم تصوير الممدوح تصويرا فنيا من خلال بعض الصور التي تفيض بالحيوية و الحركة و توشي بأزهار الطبيعة الساحرة و تبتعد عن السرد التقليدي للصفات.

و يغلب في مدحه اختيار صفات البلاغة و الفصاحة للمدوح لأنه شاعر وأديب :[2]

و هل هي الاجملة من محاسن تغاير أبصار عليـــها و أذان

بامثالها من حكمة في بلاغــة تحلل اضغان و ترحل اضغان

كلام كما استشرفت جيد جداية و فصل ياقوت هناك و مرجان

تدفق ماء الطبع فيه تدفقـــا فجاء كما يصفو على النـــار

و تأخذ عنه صنعة السحر يابل و تلوي إليه اخدع الصـــب

و هذه القصيدة لوحة فنية تصور الطبيعة تصويرا حيا و يزيدها حركة و حيوية امتزاج عناصرها بصفات الممدوح ،وهي تفيض بالصدق لأنها ترسل من صديق إلى صديقه محملة بالود و بعيدة عن ذلك التكسب و مهانة الارتزاق.

2/ المدح السياسي:

شارك الأدب السياسة مشاركة فعالة نتيجة لغضبها و سخطها " وذاق الأدباء من طعميها المختلفين ،حلوها و مرها،فنعموا بما أسبعت عليهم من نعم ،و قاسوا مما فرضته عليهم من خوف و مذلة وموت و لبسوا لكل حالة لباسها و عبروا في كل حالة عما تثيره في نفوسهم من العواطف الراضية الناعمة ،أو الساخطة المتألمة".[3]

[1] ديوان المعتمد بن عباد : دار الكتب المصرية ، ط3 ، 2000، ص 31 .
[2] ديوان ابن خفاجة ، ص 98 .
[3] حكمت علي الأوسي : الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1976 ،د ط ، ص 85 .

من هنا فقد استطعت أن أصنف قصائد المديح التي تحمل معاني التهنئة بالانتصارات و العودة و الغزوات ضمن القصائد السياسية ،لما بين من حروفها من معان تتصل بالسياسة اتصالا مباشرا و تدل على مشاركة الشاعر في سياسة عصره.

و قد شارك الشعراء أيضا في مجال السياسة خلال قصائد المديح عندما قدموا التهاني التي تعبر عن أرائهم لبنلسية ،و عندما يولى احد الكبار منصبا سياسيا كالخلافة أو الولاية أو الوزارة.

أما ما يميز قصيدة المدح السياسية ،الدعاء للممدوح الذي نصره الله على أعداءه وكان الدعاء يختلف من شاعر لأخر و من قصيدة لأخرى عند شاعر واحد فتارة يكون الدعاء للديار بالسقيا لتبقى عامرة مزدهرة ،في ظل حكم الممدوح معينا و ناصرا لدين الله و تارة يدعو الشاعر بدوام العز و طول البقاء [1].

و هكذا فقد تجلت القصيدة المدحية السياسية ظاهرة الارتباط بقصائد التهنئة على الانجازات و المناصب .

3/ الاخوانيات:

ليس هناك تعريف خاص بتلك الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء شعرا أو نثرا ينطبق عليها تعريف الشعر و تعريف الرسل ،و قد حضي الشعر الاخوانيات بكثير من الاهتمام حيث يسهل حفظ الرسائل الشعرية التي يتناقلها من شخص لأخر ،بل و استعارة بعضها للتعبير عن موقف يريده البعض ،و قد اهتم الدكتور بكر شيخ أمين بالاخوانيات الشعرية فافرد لها بابا في كتابه (مطالعات في الشعر المملوكي).

هذا اللون من الشعر يصور العلاقات بين الشعراء و ممدوحيهم أو بينهم و بين أصدقائهم و أحبابهم ففيه التهنئة و الاعتذار و فيه العتاب و الشكوى و الصداقة

[1] ينظر :فيروز الموسى ، قصيدة المدح الاندلسية ، ص 142 .

والود ن وما إلى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية الواسعة التي تربط بين الناس و بعض ،و لذلك غلب عليه التأنق في المعنى ،و اصطناع العاطفة التي تكون صادقة تارة و كاذبة تارة أخرى ،و هو أن صورة المودة و الصدق مرة ،فان صور النفاق مرات أخرى .

و لشعر الاخوانيات بطبيعته النفسية يميل اتجاها من إنسان الى إنسان أخر أو يقاربه أو يرتفع عليه قليلا فوقه ،إن هذه الحدود التي ترسم العلاقة بين الشاعر و صاحبه ،الذي يتحدث إليه ذات تأثير كبير جدا في الصور الفنية التي يمكن أن يتجلبب بهذا النوع من الشعر[1].

و من بين أنواع الشعر الاخواني في الأندلس ،شعر يتحدث عن مفهوم الصداقة على أساس أنها لون من ألوان العلاقات الاجتماعية ،كما يتحدث عن أواصر المحبة بين الأصدقاء من الشعراء[2].

حيث تعكس هذه الأواصر حاجتهم إلى نظم الشعر رغبة في تجزيه أوقات الفراغ من نحو الزيارة أو المخاطرة أو العتاب على فعل أو الرد على صديق نال من صديقه.

و من أغراض هذا اللون الشعري أيضا ما كان بين الأدباء من دعابات تصفح عن حجم الود الذي جمع بينهم ،و منه ما كان في طلب استعطاف صديق لصديقه من نحو ما كان بين ابن عمار و المعتمد بن عباد.

و من إمارات الصداقة بين شعراء الأندلس التي تبرز توثقها و صدق حرارتها شعر يتحدث عن الاستجابة للدعوة للهو و طلب اللذة ،و منه أيضا شعر يتحدث عن معالم و ألوان المجاملة بين الشعراء في الحفلات و الأعراس و يسجل حضور الشعراء لها ووصفهم إياها[3]

1.com , 25/03/2015 , 11 :52www.alyaum

[2] علي الغريب محمد الشناوي : الاخوانيات في الشعر الأندلسي ، مكتبة الأدب ، ميدان الأوبرا ،القاهرة ، ط1 ،2006،ص 121 .

[3] المصدر نفسه : ص 121 .

و هناك شكل أخر من أشكال هذا الشعر يتحدث منه الشعراء عن فساد الإخوان و يقدمون تصورهم لهذا النمط الفاسد في مقابلة النمط الصالح.

كما يلحق بهذا اللون من الشعر ،كل شعر فيه تشوق و قد نتوسع في مفهوم الصداقة و الصديق فنلحق به الشعر الذي يتحدث عن الشكوى من العباد أو طلب الشفاعة لأحد الإخوان.

و هناك أيضا شعر في الحنين إلى الأصدقاء ،و قد ركز هذا الشعر في العصور المتأخرة من تاريخ الأندلس و لاسيما في القرن السابع الهجري[1] .

و لابن خفاجة قصيدة يرد فيها على صديق له بلغة انه نال منه ،و لما كانت هذه القصيدة تمثل رد الشاعر على إساءة صديقه له ،فقد وصفها بعدة أوصاف هي (يرن بها الجواد صهيلا) و (تسيل ماء في الحسام صقيلا) و (هي بسامة تصبي الأريب و سامة) و قد حمل ابن خفاجة قصيدته شوقه و تحيته إلى صديقه المسيء كما حملها عتابا ثقيلا و تمنى أن تحمل من معاني العتاب الذي نثره في ثنائياها ما يشفي غليله من هذا الصديق[2] .

يقول :

خذها يرن بها الجواد صهيلا و تسيل ماء في الحسام صقيلا

بسامة تصبي الأديب وسامه لولا المشيب لسمتها تقبيـــلا

حملتها شوقا اليك تحيـــة حملتها عتبا عليك ثقيـــلا

ايه وما بين الجوائح غلـــة لوكنت انقع بالعتاب غليـــلا[3]

[1] المرجع نفسه : الصفحة نفسها .
[2] علي الغريب محمد الشناوي : ص 135
[3] ديوان ابن خفاجة : ت السيد الغازي ، منشاة المعارف الإسكندرية ، ط2 ، دت ، ص 204 .

و يأتي عتاب ابن خفاجة لصديقه عفيفا خاليا من ساقط القول و فاحش الكلام حيث نجده في البيت السادس يدعو لصديقه رغم نيله منه بالوقاية ،ثم يعود و يخبرنا بالجملة الفعلية المضارعة التي تشيد الاستمرار بان هذا الصديق دأب على أكل لحمه حيا ،و هي صورة شعرية تكشف عن الاشمئزاز من موقف هذا الصديق كما أنها صورة مقتبسة من القران الكريم عندما وصف العتاب لغيره في سورة الحجرات[1] في قوله تعالى: " و لا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب احكم أن يأكل لحم أخيه حيا فكرهتموه "[2]

و عطف عليها جملة فعلية أخرى ،تبرز مواصلة هذا الصديق تمزيق عرض ابن خفاجة و يأتي الشاعر بأسلوب الاستفهام كي يعبر عن دهشته و تعجبه من انصراف صديقه عن الثناء عليه و نشر محامده و يرسم له طريقة نشر هذا الثناء من خلال تشبيهه له بالنسيم الذي لم بروضه فرطب حواشيها ،و عاد فصور الثناء الواجب له ينضج الغمام ،و لا يخفى ما يحمله الغمام من دلالة على الخير [3].

يقول:

ما للصديق وقيت تأكل لحمه حيا و تجعل عرضه منديـــلا

ماذا تنال عن الثناء و نشـره بردا على الرسم الجميل جميلا

ارجا كما عثر النسيم بروضة لدنا كما نضح الغنام مقيـــلا[4]

و مما يلحق بشعر الصداقة شعر يتحدث فيه الشعراء عن الحنين إلى بعضهم و بعث هذا الحنين يتمثل في ظروف الاقتراب عن الأهل و الوطن ،فيترتب على ذلك الإحساس بفقد الأصحاب ،مما يدفع الشعراء إلى الترسم في الشعر تعبيرا عن هذه المعاني من نحو ما قاله ابن سعيد متشوقا إلى الجزيرة الخضراء و من كان يسكنها من

[1] علي الغريب محمد الشناوي : ص 135 .
[2] سورة الحجرات : الآية 12 .
[3] علي الغريب محمد الشناوي : ص 136 .
[4] ابن خفاجة : الديوان ، ص 204 .

الأصدقاء الذين كانت لهم به ألفة ،لكن الزمان فرق بينهم فرطوا و تركوا أسيرا الشوق و وحده و غربته[1].

و قد بدا حنينه نحو أصدقائه ،بحنينه إلى نسيم المكان ،فتعجب من خلال الاستفهام من جمال الطبيعة و المكان ،و كيف بدت الأرض في ثوب من الخضرة قشيبا ،و ناد متحسر الأيام الخوالي التي قضاها مع الأصحاب ،فلما اعرضوا عنه تركوه عرضة لشوق جارف استحن قلبه للجراح.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبل الهدية ,و يثيب عليها ما هو خير منها و قال عليه الصلاة و السلام :" لو أهدى إلي ذراع لقبلت ،و لو دعيت إلى كراء لأجبت "، و قال عليه الصلاة و السلام:" الهدية رزق من الله عز و جل "،فمن اهدي إليه شيء فليقبله"،و قال صلى الله عليه و سلم:" نعم الشيء الهدية أمام الحاجة، ما أرضى الغضبان ،و لا استعطف و لا استميل الهاجي ،و لا توقى المحذور بمثل الهدية " وقيل أن جلساء المهدى إليه و شركاءه في الهدية.[2]

[1] علي الغريب محمد الشناوي : ص 136 .
[2] المصدر نفسه :ص 138 .

جماليات الصورة الشعرية:

في ظل الآراء التي تناولت مفهوم الشعرية في النص الأدبي و سبل صناعة الشعر نجد قدامه ابن جعفر الذي يرى أن الشعر صناعة باعتبار ما يصنعه من كمال وتجويد فيقول " إذا كان جمع ما يؤلف و يصنع على سبيل الصناعات و المهن فله طرفان احدهما غاية الجودة و الأخر غاية الرداءة و حدود بينهما تسمى الوسائط وكان كل قاصد الشيء من ذلك قصد الطرف الأجود فان كان معه القوة و في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذفا تام الحذف"[1]

و في رحاب المذهب الرومانسي تمكن الخيال من التحرر من هيمنة العقل إذ أحدثت انقلابا جذريا في مفاهيم النقد الأدبي و أعاد للأدب اشراقته و حيويته.

فمثلا جماعة الديوان تتفق في وضع شرط أساس في التعبير بالصورة الفنية و هذا الشرط هو الصدق الفني في العمل الأدبي

فعلى الشاعر ان يكون صادقا في شعوره و هادفا لغاية نبيلة و هي نفس الفكرة التي دعا اليها الرومنتكيون " إن الرومنتكي يصور ما يتراءى له و لا يعبا إلا بما يراه ,فإذا أعطى ما تواضع عليه الناس فذلك لأنه لا يحفل إلا بصوت شعوره ،و هذا هو الصدق الذاتي ,و هو احد شطري الأصالة ،و شطرها هو الصدق الفني إذ يجب أن يرجع الشاعر في صياغة الصور إلى ذات نفسه و إلى ما يثير مشاعره من مظاهر الطبيعة لا إلى العبارات التقليدية و الصور المأثورة "[2]

[1] قدامه بن جعفر :نقد الشعر عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 64 .
[2] مصطفى دراوش :الموقف النقدي لجماعة الديوان من الشعر العربي ،ص 394 ، نقلا عن محمد غنيمي هلال دراسات و نماذج من مذاهب الشعر و نقده ،القاهرة ، ص 83 .

المبحث الأول : مفهوم الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية إحدى المكونات و الركائز الأساسية للشعر قديما و حديثا لما احتوته من أهمية بالغة في تحديد قوة و ضعف العمل الفني و يتوسل بها الشاعر عن رأياه و مشاعره و انفعالاته و يعتبرها محمد غنيمي هلال جزء من التجربة[1]

إذا تعتبر من أهم وسائط الشاعر في نقل تجربته الشعرية و التعبير عن واقعه فللصورة الشعرية " طريقة خاصة من طرف التعبير عن وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما أحدثه في معنى من المعاني من خصوصية و تأثير[2] " . و لم يعد مفهوما محصورا في الشكل المجازي المشحون بالعاطفة و الإحساس و حسب بل وتجاوزها بشمل كل تشكيل لغوي يستقيه خيال الفنان من معطيات الحواس والنفس و العقل [3] و ذلك من اجل تهيئة مسافات جمالية تتبع من المواقف والانفعالات و لا ترتبط بظواهر الأشياء بقدر ما هي متعلقة أساسا بجوهر العملية الإبداعية فالصورة هي تلك التي تقدم تركيبة عقلية و عاطفية في لحظات من الزمن " و من هنا تبرز أهميتها في بناء النص الشعري فهي قوام الخيال و أساس الوساطة بين الشاعر و المتلقي فالخيال يمثل العصر الأول من عناصر بناء الصورة الشعرية لأنه يقوم بالدور الأساسي في بنائها عن طريق الجمع بين عناصرها المختلفة و إعادة التأليف بينها لتصبح صورة للعالم الشعري الخاص بشاعر ما معبرة عن مشاعره و رايته فهو " العنصر الذي يساعد على تشكيل الواقع الخارجي تشكيلا جديدا في العمل الأدبي "[4].

فالصورة الشعرية تتداخل مع العاطفة و الخيال لتحقيق الغاية المرجوة في نقل تجربة المنفعل و لا يمكن و جودها بعيدا عن هذين العنصرين و إلا فقدت بريقها ورونقها .

---

[1] محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث نهضة منصر للطباعة ، مصر ،2004 ، ص 436 .
[2] جابر عصفور : الصورة النقدية في التراث النقدي البلاغي ، ص 323 .
[3] علي البطل : الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دار المركز الثقافي العربي بيروت ، لبنان ط 2 1983 ، ص 30 .
[4] محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، الدار العربية للموسوعات ، ط 1،ص 19 .

و قيام الشعر أساسا على عملية التخيل أو المحاكاة جعل حازم القرطاجني يقول " و الذي يدركه الإنسان بالحس فهو الذي تتخيله نفسه لان التخيل تابع للحس و كل ما أدركته بغير الحس فإنما يراد تخيله بما يكون دليلا على حالة من هيئات الأحوال المطفية به و الملازمة له حيث تكون تلك الأحوال بما يحس و يشاهد" [1].

فالشاعر يستمد كل هذه العناصر من المحسوس أو من ممارساته اليومية والأحداث التي يمر بها أو كليهما و لا يمكن القول انه ينطلق من الواقع بحذافيره.

و انطلاقا من هذا فان الشاعر في بناء نصه الشعري يقوم بتخيير الألفاظ التي تتمازج و تتنسق فيما بينها لتكوين هذا النص و هو في هذا يخرج هذه الألفاظ من معانيها المعجمية ليعطيها وظيفة جمالية و بذلك ينزاح عن اللغة العادية إلى اللغة الأدبية التي تحمل شحناته العاطفية و توجهاته الفكرية و تجسد أحاسيسه و مشاعره الذاتية فتصطبغ بحسه و شعوره " و الكلمة بهذا المعنى لم تعد وسيلة للنقل و التفاهم و التصوير ،بل أصبحت حدسية ثاقبة متغيرة متفردة تتجاوز و تضيف تثير و تفاجئ و تدهش و الكلمة الفكرة يجب إلا تبقى صورة ذهنية مجردة ولكن يجب أن تحمل بزخم إنساني ناتج عن تجربة و الكلمة تمثل الأشياء لا كما هي بل كما يكون وقعها في النفس ،من هنا ارتباط اللغة الشعرية بالمعاناة الشعورية "[2].

و إذا نحن جئنا إلى اللغة الموظفة في القصائد المدحية لابن خفاجة و جدنا ألفاظه تعبر بأمانة عن صاحبها ،و تحمل طاقات إيحائية و شحنات عاطفية وتصطبغ بنفسية الشاعر ،و تتلون بمشاعره .أنها " تتخذ الأبعاد الوجدانية الموحية وتتخلى من طبيعتها المعجمية المجردة الجامدة ،تتوالد فيها الألفاظ ،مغلفة بالفضيلة والمشاعر ،أساس هذه اللغة المعاناة أي الأنغام الداخلية "[3]

و الشاعر ابن خفاجة عرف كأترابه من الأندلسيين بسهولة الألفاظ و رشاقتها وإشراق التراكيب و حسن الصياغة و انسجام العبارة و وضوح المعاني فلغته تخدم

[1] حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ت الحبيب بن خوجة ، الدار العربية للكتاب ،تونس 2008 ، ص 38 .
[2] عساف ساسين: الصورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس ،ط 1 ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1982 ، ص 15.
[3] المرجع نفسه : ، ص 17 .

مشاعره ونفسيته بالدرجة الأولى ،بل هي قطعة من ذاته ،بما توفره من إيحاء ودلالة و دقة وقوة في التعبير،يضاف إلى ذلك ابتعادها عن الغموض إلا ما فرضته التجربة النفسية أحيانا و ميلها إلى الرقة و السلاسة فقد جاءت على شاكلة الألفاظ التي ذكرها ابن كثير حين قسم الألفاظ من حيث الاستعمال إلى شكلين " جزلة و رقيقة و كل منها وضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحرب و في قوارع التهديد و التخويف و أشباه ذلك و أما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الأشواق و ذكر أيام البعاد و في استجلاب المودات و ملانيات الاستعطاف وأشباه ذلك"[1].

أما أدوات التحسين اللفظي فقد كان ابن خفاجة يحتفل بها احتفالا كبيرا ،و ذلك لان فترة القرن الخامس الهجري الذي عاش فيها الشاعر كانت تعد بداية لعصر الصنعة البديعية و الزخارف أللفضية في الأندلس لذلك اعتنى بها الشعراء عناية كبيرة بلغت أحيانا حد الإسراف المعيب الأمر الذي جعل بعض المستشرقين يتصوروا و كان الشعر الأندلسي لا توجد فيه إلا تلك الألفاظ الرنينية فذهب فونشاك إلى إن إشعار الأندلسيين عامة لأشبه بالعاب نارية تومض ثم تتلاشى في الظلام فتبهر القلوب لحظة بوميضها و لكنها لا تترك في النفس أثرا دائما [2].

و جاراه في ذلك غارسيه غوميس و أشار إلى أنهم "عاشوا أعمارهم كلها مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة و أوغلوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية الاربسكية التي تشبه أن تكون قصور حمراء لفظية"[3] .

و لا يمكن إنكار هذه الآراء إنكارا كليا ففيها شيء من الصواب و هو أن بعض الشعراء الأندلسيين قد اسرفو في استخدام تلك الزخارف اللفظية و ربما اغلبهم و لكن هذا لا يعني ان الرأي السابق ينسحب عن كل الشعراء الأندلسيين كما انه لا يعني أن كل هؤلاء الشعراء لم يحسنوا استخدام أدوات التحسين اللفظي .

[1] ابن الأثير : المثل في أدب الكاتب و الشاعر ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،بيروت ، المكتبة العصرية صيدا ،1990 ،ج1، ص 172 .
[2] بالنثيا انخل جنثالث : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ،دط ،القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية ،د ت ،ص 46
[3] غويس غريسيه :الشعر الأندلسي ،ترجمة حسين مؤنس ،ط1 ،القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،1953 . ص82.

و إذا ما حاولنا أن نتبين قيمة الصورة الشعرية في مدح ابن خفاجة و جدناها تنبثق عن حق بواعث قول الشعر إنما صورة متفردة فيها غزارة الشعور و قوة الخيال وبراعة التصوير و تزيد من قيمتها إشارتها للأحاسيس و المشاعر و امتلاءها بالحرارة الوجدانية لصاحبها يضاف إلى ذلك تجاوزها للأنماط القديمة و ارتقائها إلى الإيحاء و الرمز و الارتباط الشديد بالموقف النفسي[1].

و لا بد و نحن نبحث في جمالية الصورة عند ابن خفاجة في شعر المدح من أن نفعل ذلك من خلال تصنيفات مختلفة تصنع الصورة الخفاجية في أنماط فنية متنوعة بحيث ننظر إليها بكل نمط أو شكل من زاوية خاصة و نحاول من خلال هذه الأشكال المختلفة للصورة أن نشمل بالدراسة معظم أنواعها الواردة من تجربة المدح الخفاجية [2].

المبحث الثاني : الصورة البيانية

1/ التشبيه :

التشبيه من الفنون البلاغية يدل على سعة الخيال و جمال التصوير و يزيد المعنى قوة و ضوحا يقول قدامى بن جعفر في تعريفه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما و يوصفان بها و افتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها و إذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يبدني بهما إلى حال الاتحاد[3] .

و هو عند ابن رشيق صفة الشيء بما قاربه و شاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه [4].

و قد انتشر التشبيه في اللغة و كثر في أشعار العرب فجعلوه احد مقاييس التمييز الأدبي كما أن بلاغته تنشا " من أن ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء ظريف

[1] ينظر :فتيحة دخموش:تجربة الغربة و الحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي ،مذكرة ماجستير ،كلية الآداب و اللغات جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ، ص 145

[2] شعر ابن خفاجة الأندلسي

[3] ابن جعفر قدامه :نقد الشعر ،مطبعة الجوانب ، ط1 ،ص 125 .

[4] القيرماني :ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ،ج1 ،تحقيق محمد عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ،ط3 ،1963 ، ص 84

يشبهه و صورة بارعة تمثله و كلما كان هذا الانتقال بعيدا قليل الحضور بالبال أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال كان الشبيه أروع للنفس و ادعى إلى إعجابها باهتزازها".

أما الدراسات البلاغية الحديثة فقد رفضت نظرة البلاغيين القدماء لها باعتبارها وسيلة يتم الكشف من خلالها عن تجربة الشعرية ،فالتشبيه الأصيل قد يهدف إلى الإبانة بشرط أن نفهم الإبانة على أنها نوع من أنواع الكشف و التعرف إلى الجوانب الغامضة من التجربة التي يعانيها الشاعر [1].

و قد برز التشبيه في جميع أغراض شعر لبن خفاجة و في اغلب معانيه وأغراضه الشعرية في صورة الممدوح ،و المرأة و العدو و الوصف و اتكأ في بيان تلك الصور على أنواع التشبيه المختلفة و لعل أكثر أنواع التشبيه عنده جاء باستخدام أدوات التشبيه الكاف و كأن .

و قد وجدنا أن القصائد المدحية الأندلسية لم تكن في معظمها على هذا النمط التقليدي في البناء و كذلك كانت قبلها القصائد بداخلة ،و " الواقع أن هذا التصور لبناء القصيدة يحتاج إلى الكثير من الضوابط حتى يستقيم ،فان هناك قصائد بدأت بغير الوقوف على الأطلال – كما قلنا – و هناك قصائد انتهت بالأطلال و النسيب والرحلة و لا يدلف منها الشاعر إلى غرض خاص و كأنه يقول الشعر المجرد التصوير و الغناء ..."[2].

و سوءا وقف الشاعر على ظل فبكى و اشتكى أو تجاوز إلى وصف الرحلة أو طوى ذلك إلى النسيب و ما إلى ذلك من مقدمات فإنها كلها.

و من أمثلة التشبيه في شعر المديح قول ابن خفاجة :

فما روضة غناء في راس ربوة تعلو بمنهل من المزن كساجم

1 ينظر فوزية عبد الله محمد العقيلي: الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي ،رسالة دكتوراه ،جامعة أم القرى ،المملكة السعودية ،ص.503

2 محمد أبو موسى :قراءة في الأدب القديم ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،مصر،ط2، 1998 ،ص 370

باحسن مراى من حلاك للناظر و اعطر نشرا من نثاك لنسام[1]

فشبه الممدوح بالروضة الغناء المعشبة التي كان يسقيها المطر مرة بعد مرة مما زهاها و حلاها بالعيون ثم فضل الممدوح عليها بقوله أحسن و أعطر و قد جاء مثل هذا التشبيه بالروضة الغناء .

و قد جاء ابن خفاجة بهذا التشبيه في مرة أخرى بغرض المدح و لكنه اكتفى بالغض عن الروضة فقال:[2]

فما الغصن المطلول اشرق باسما و ماذا اصيلانا على الماء صافية

بالين اعطافا و احسن هشـــة و اعطر اخلاقا و اندى حوا شيا

فشبه الممدوح في الطيب و البشاشة بغصن ندي زاد في نداوته انه ثابت على ماء صافي فيما دل به على صفاء سريرة هذا الممدوح.

و استعار للغصن صفة الابتسام ليدل بذلك على إشراق وجهه ثم جعل هذا الممدوح بأفعال التفضيل، الين ،أهش ،أعطر ،اندي، و قوله الين أعطافا و أندى حواشيا من المجاز و هو أن يسمي الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب [3].

و نرى كذلك أن ابن خفاجة قد أكثر في ديوانه من تشابيه تعبر عن أهم الحوادث الجوية فجاء بالسحاب و قتما تدفعه الرياح فيسير بسرعة معبرا عن صورة الفرار والانهزام ،ثم يذكر من جهة أخرى ،الندى و المطر و المياه بصفة عامة عن للتعبير عن الكرم و السخاء و السعة في الحياة فيقول مثلا في حق ممدوحه :

علقت بها حر الثناء عقيلـــة اتدى يدين من الغمام المرزم[4]

[1] ديوان ابن خفاجة، ص 261 .
[2] المصدر نفسه الصفحة.666 .
3 محمد أبو موسى :قراءة في الأدب القديم ، ،ص 370.
[4] ديوان ابن خفاجة، ص 52.

و يقول أيضا :

غيشت به اندى من المزن راحة و اطيب افياء و امرح مرتعا[1]

و يستعمل المياه فضلا عن ما سبق ليعبر عن النقاء و الصفاء و عن انصياع سيلانها و برودتها و جمالها و لهذا تكرر ذكرها كثيرا في ديوانه .

الشاعر هنا يعقد علاقة مشابهة بين المعارف و المناكر ،فرسم صورة طريفة في التعبير عن السخاء و الكرم و الجود و عقد صورته هذه من خلال تشبيه حسي وغابت فيه أداة التشبيه مازاد في بيان العلاقة بين طرفي التشبيه .

و يستمر الشاعر في رسم صور جميلة من خلال كون المشتبه مفردا او المشبه به مفردا أيضا و من الصور التي وردت على هذا النوع نجد :

و اصغى الى لحن فسيح يهزه كما هز نشر الريح ريحانة سكرى[2]

و استعمل ابن خفاجة هذا البيت ليعبر عن حركة نفسانية أو عن طرب.ثم يشبه ابن خفاجة بالبرق كل ما هو لامع و ساطع و متحرك بسرعة و خفة.

و أما الأمواج المتلاطمة في البحار الهائجة فهي تعبير عن مظاهر العينة الشديدة القاسية مثل الاشتباكات في المعارك أو هي تعبير عن الجيش العرمرم ذلك لما توحي به هذه الأمواج من قوة في حركاتها بحيث لا يستوقفها شيء في أقدامها و هجومها على السواحل و قد أتى ابن خفاجة أيضا بتشبيه الفرسان المنتقضين على العدو بالأمواج[3]

فالشاعر يريد من خلال قوله هذا:

لهم همم كما شمخت الجمال و أخلاق كما دمث ببطاح[4]

---

[1] ديوان ابن خفاجة، ص 09.
[2] المصدر نفسه :الصفحة 41.
[3] ينظر : حمدان حجاجي :حياة و أثار الشاعر ابن خفاجة ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائرط1 ،2007، ص304.
[4] المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

يريد إثبات سمو المنزلة و الارتقاء و الرفعة لممدوحه و قد استعمل الجبال والبطاح مرة واحدة في تشبيه مقرون بطباق .فذكر الجبل ليعبر عن الجلالة و علوالهمة والأبهة ،و الارسطوقراطية كما ذكر البطحاء ليعبر عن السهولة و اللباقة و لطافة الأخلاق.

و نلاحظ لئلا يلتبس علينا الأمر التشبيهات الواردة في شعر المدح لدى ابن خفاجة جاءت في صور الطبيعة و ما تزخر من بدائع و كائنات كانت مسرحا لتصوره واقتباساته ،إذ نراه شبه الحية التي ارتمت عليه بالتي النازل من الجبل لسرتها و عنفها وقد استعملها كمشبه به للتعبير عن الفرس في عدوه إذ يقول:

جاذبنه فضل العنان و قد طغى فانصاع ينساب انسياب الأرقام [1]

و في كثير من الأحيان نجده يشبه شعرا راقه و قد تأتى له هذا التساؤل بروائحه الطيبة كمشبه به و هي صورة كان يستحسنها جدا و قد كان المشبه به تارة شهرة الممدوح و مجده فيقول:

فما روضة غناء في رأس ربوة تعل بمنهل من المزن ساجم

بأحسن مرأى من حلال لناضر و أعطر كثرا من نثاك لناسم[2]

و تارة مضمون مقطوعة شعرية جيدة راقت للشاعر فقال :

فكان روضا بات يفتق نوره فيها و طاووسا يمد جناحـــا [3]

و يشبه شاعرنا ذكرى حبيب عزيز بالرائحة الطيبة كما يشبه بها شعرا راقه و قد تأتى له هذا التساؤل البليغ في أسلوب خطابي.

أنفحة طيب ما تنسمت أم نظم و فضله كأسا ما ترشفت أم ظلم[4]

---

[1] ديوان ابن خفاجة، ص 185.
[2] حمدان حجاجي : حياة و أثار الشاعر ابن خفاجة ، ص 307 .
[3] الرجع نفسه ، ص308 .
[4] المرجع نفسه ،ص 309.

و من اللافت لنظر كثرة تشبيهات ابن خفاجة المستمدة من الطبيعة و أجزائها فالشاعر في ارتكازه على المشبه به المستمد من أجزاء الطبيعة يصبو إلى شيء من الالتحام بين الممدوح و هذه الأجزاء فنجده قد استعمل أداة التشبيه (كان) فالشاعر يتنقل من الغامض إلى الواضح و من المعقد إلى السهل و هذا هدف الصورة الشعرية عموما لان " انس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي و تأثيرها بصريح بعد مكني".

و قد وردت بعض التشابيه التي يرجع نعتاها إلى حاسة اللمس ،فكثيرا ما أشار ابن خفاجة في قصائده المدحية إلى ندى الغمامة و عذوبة النسيم العليل لما اتصف به ممدوحه من بشاشة و كرم و غيرهما مما لا يخفى علينا.

و ينبغي أن نخص بالذكر على حدة ماسميناه بالتشبيه العقلي .

و هي الصورة التي تتطلب لإدراكها وفهمها أن يفكر فيها القارئ لان المشار إليه في المشبه به لم يكن محسوسا ماديا, و إن كان مصدره الجمع بين شيئين حسيين وهذا النوع من الصور نادر جدا في ديوان ابن خفاجة ،و قد عثرنا على تشبيه الأمير تميم في صباه و ما كان يمتاز به من ذكاء و فطنة بالهلال الذي تم يوم استهلاله[1].

و نال تميم ساده الكهل في الصبى فتم تمام البدر في غرة الشهر

و حلت به الأملاك و هي شريفة محل ليالي الصوم من ليلة القدر

كما عثرنا على تشبيه الحباب الذي يعلو الخمرة في كأسها بفتاة شابة على رأسها الشيب :

جلاها و قد غنى الحمام عنشية عجوزا عليها للحباب مشيب [2]

و إليك أخيرا هذا المثل الذي يرد في قصيدة مدحية :

[1] ينظر :حمدان حجاجي :حياة و أثار ابن خفاجة ،ص 317 .
[2] ديوان ابن خفاجة، ص 50

و لثمت ظهر يد تندى حــرة فكأني قبلت وجه السمــاء[1]

و يعتبر من الصور العقلية كل تشبيه لا تظهر فيه العلاقة بين المشبه و المشبه به إلا بعد التأمل.

و من الملاحظ في شعر المدح عند ابن خفاجة احتلال التشبيه التمثيلي مكانة أوسع واشمل من الصور التشبيهية الأخرى في شعره حيث أن التشبيه فيها لا يتم على أساس العلاقة بين طرفي التشبيه و إنما عن طريق صورتين من خلال تركيب فني متكامل حيث يبرز من خلاله إدراك الشاعر الكلي بعيدا عن الاهتمام بالجزئيات المفردة[2].

و التشبيه التمثيلي اشد تأثيرا في النفس فهو يعرض الصورة الحية متحركة إذا "يفخم المعنى بالتمثيل و ينبل و يشرف و يكمل فأول ذلك و أظهره انس النفوس موقوف على تخرجها من خفي إلى جلي ،و تأثيرها بتصريح بعد مكني ،و إن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء أخر من شانه اعلم و ثقتها به في المعرفة احكم ، نحو أن تنقلها عن العقل و الإحساس و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع "[3].

و التشبيه التمثيلي أعمق في التصوير و التعبير و أكثر تأثيرا في المتلقي و ما ذلك إلا لأنه يستمد صورته من الوصف المركب المنتزع من متعدد.[4]

2/ الاستعارة :

و هي استعمال اللفظ لغير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ،مع قرينه صارفة عن إرادة المعنى الأصلي[5].

---

[1] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .
[2] ينظر :الدلاهمة ،إبراهيم ،الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك ،اربد ،الأردن ،ص 93 ، 2001 .
[3] جرجاني عبد القادر : أسرار البلاغة ، ص108 .
[4] لاشين عبد الفتاح : البيان في ضوء أساليب القران ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ،1988 ، ص 54 .
[5] الهاشمي سيد احمد :جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ،طبع و تدقيق :د يوسف صوميلي المكتبة العصرية بيروت ،ط1 ،2008 ، ص 258

و هو ما أكده الجرجاني (471هـ) بقوله " إن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي المعروف تدل الشواهد على انه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل و ينقله إليه نقلا غير لازم فيكون كالعارية " [1].

و قد اشترط النقاد القدماء الملائمة بين المستعار منه و المستعار له كما في قول الامدي (المتوفي 370هـ) :" و إنما استعارت العرب المعنى لما ليس له ،إذا كان يقاربه ،أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له و ملائمة لمعناه "[2].

و تكمن بلاغة الاستعارة في طريقة تأليفها و ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان فهي تحمل القارئ على تخيل صورة جديدة تحمل الابتكار و روعة الخيال و ميدانا للإبداع[3].

و لا شك أن الاستعارة قريبة من التشبيه لأنها في الأصل تشبيه حذف احد طرفيه وصرح بالطرف الأخر.

و ليتجلى لنا الفرق بين التشبيه و الاستعارة واضحا رأينا انه من المفيد أن نذكر قول والتز الذي وافق أكثر من غيره في التعبير على هاتين الصورتين فقال " أن الاستعارة تبدو قاب قوسين من التشبيه و لكن الفرق بينهما في الحقيقة عميق [4].

و ليست الاستعارة تشبيها ملخصا موجزا و لكنها صورة مستقلة ،صادرة عن حركة فكرية فخالفه له كل الخلاف فعمليه الفكرة التي تتطلبها الاستعارة بل تفرضها فرضا عملية تتسم بمزيد من الشدة و السرعة [5]. و فضلا عن هذا فان الاستعارة تبرز عندما يعبر عن أهواء الإنسان و عقائده أو عن عواطفه الفعالة و يسوغ لنا أن نقول –نظرا لضخامة عدد الاستعارات التي يتضمنها الديوان – أن ابن خفاجة كان متمتعا بخيال متوقد و إحساس شديد فباح بأسراره و عبر عن عواطفه بسهولة و إخلاص إذا اعترفنا

[1] الجرجاني عبد القاهر ،أسرار البلاغة ،ص 369 .
[2] الامدي الحسن بن بشير : الموازانة بين الطائيين ،ت: احمد صقر ،مطبعة دار المعارف ،ط1 ، 1964 ،ص 25 .
[3] ينظر :جواهر البلاغة ، ص 284-285 .
[4] ينظر حمدان حجاجي ،حياة و أثار ابن خفاجة ، ص 317 .
[5] المرجع نفسه ، ص 317-318 .

بذلك نكون قد نسينا بسرعة مع الأسف أن اغلب الصور التي نجدها في الديوان ما هي إلا صور قديمة متداولة بين الناس يجري بها القلم دون أن يشعر بذلك صاحبه.

إلا انه ينبغي أن نحتاط في حكمنا هذا حتى لا نقع في خطا أخر فلا ننظر إلى إنتاج ابن خفاجة بعين الاعتبار و لا نتصف بإنكارها كل ميل من جانبه إلى الشعر الغنائي و لقد عثرنا فعلا في ديوانه على مقطوعات شعرية رائعة ،حيث صارحنا ابن خفاجة بإخلاص غير مشكوك فيه فاطلعنا على ألامه و أحزانه على سروره و سعادته و على أمانيه و أماله.

و يرى عبد القاهر أن في الاستعارة فضيلة كبيرة يقول :" و من الفضيلة الجامعة فيها أن يبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا و توجب له بعد الفضل فضلا وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في موضع ولها في كل واحد من تلك الموضع شان مفرد، و شرف منفرد ،و فضيلة مرموقة و خلابة مرموقة ،ومن خصائصها التي تذكر بها و هي عنوان مناقبها انها تعطيك الكثير من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر ..."[1]

و قد استعار الشعراء الأندلسيون في صورهم كثيرا ،توسعا في الدلالات على المعاني و الإبانة عنها و لان ألفاظ المدح تحمل إيحاءات كثيرة متعددة فاستعارو بالمطايا للصبر و للعزم و للصبا ....و استعاروا الخيام للجود و العز ....و استعاروا الاقراع للاماني و الآمال ..... وهكذا

و من الاستعارات التي كثرت في الشعر الأندلسي الاستعارة من شهد المطايا و الحمول التي كانت من اخص صور البداوة و تداول الشعراء مشاهدها و ما اتصل بها فكانت لاتساع دلالتها تأتي في تعريض وصياغات عدة و تتدخل في كثير من الصور الموحية و من ذلك ذكر التعريج على الديار و وقوف الشاعر بركبه و ركابه

[1] المصدر نفسه ، ص 42 .

على الأطلال أو ما بقي من أثار من ترحلوا كما كان الشعراء قديما يفعلون أو يقولون فاستعار الشعراء الأندلسيون من التعريج الانعطاف بالراحلة إلى الديار[1].

قال ابن خفاجة :

عاج الرجاء على علاك به فكم يعج المطي برسم ربع دارس[2]

استعار للرجاء من الرحلة الانعطاف فقال عاج الرجاء و جعل التعريج على العلى فاستعار للعلا صفة الديار التي يقف عليها المرتحل لتحيتها ثم رشح الاستعارة متحررا بقوله لم يعج المطي برسم ربع دارس، لان العادة البدوية كانت تقتضي التعريج والوقوف على الديار الخالية و الأطلال الدارسة و تحيتها وفاء لأهلها و لكنه لما جعل الرجاء يعرج جعل المعرج عليه و هو العلى ديارا أهله بالخير لان السياق في المدح.

و يقول في سياق المدح

نشاوت مطايا الصبا مطلبا و طلت ثنايا العلى مرقبا

و الشأو :الغاية و الأمد[3]

و قد أراد ابن خفاجة أن يصف الغاية التي وصل إليها في الصبا و طلب العلى فاستعار لهذا الصبا و المطايا .

3/ الكتابة:

يرى عبد القاهر الجرجاني أن الكتابة هي :أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة و لكن يجيء إلى معنى تاليه و ردفه في الوجود ويومئ به إليه و يجعله دليلا عليه[4].

[1] ينظر :فوزية عبد الله محمد العقيلي ،رسالة دكتوراه ، الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي ،جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية ، ص 683 .
[2] ابن خفاجة ،الديوان ، ص 230 .
[3] المصدر نفسه ،ص 116 .
[4] جرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ،ص 66 .

و يرى أيضا أن مذهب الكتابة هو مذهب التعويض و الإشارة و الرمز و هذا ما يجعل لها " من الفضل و المزية ومن الحسن و الرونق مالا يقل قليله و لا يجهل موضع الفضيلة "[1].

و قد كان التلميح في الشعر دون التصريح من خلال الكتابة من دقائق الصور التي وجد الشعراء منذ القدم أما أن الجنوح إليها في الشعر يثري الخيال فيه و يجمع في المعنى بين الظاهر و المراد مما يغني الشعر و دلالته [2].و من الكنايات التي جاءت أو جرت في الشعر الأندلسي و على وجه الخصوص شعر المدح فنجده قد جاء بصورة الرعد والحادي و القطيع من الغمام في التالي و هي صورة مكنية جاءت أيضا في قول ابن خفاجة يصف و يمدح فيها (عارض رحمة)

زجل الرعود كأنما مسحت به كف الصبا عن ناقة عشراء [3]

فاستعار لريح الصبا الكف تمسح بها السحب و استعار للغمام صفة الناقة العشراء على سبيل الكناية التي إذا مسح ضرعها أدرت اللبن و خص العشراء و هي حديثة العهد بالنتاج لأنه أملا لضرعها باللبن و لأنه أراد مطرا كثيرا غزيرا مغدقا و صورة الناقة في السحابة و لمس الرياح و مسحها صورة قديمة في الشعر أراد بها الشعراء دلالات الخصيب و النماء في الخير في المطر فربطوها بقطعان الإبل و من بين هذه الصور التي برع فيها الشاعر الأندلسي ابن خفاجة في سياق المدح حيث يقول :

و من أجلك اهتز القضيب على النقا و اشرق نوار الربا يتفـــــتى

وماذاك الا ان خلقك رائـــــــق يهتز كما اهتز الرحيق المعتــق[4]

فصور ابن خفاجة سماحة الممدوح و خلقه المعجب للجمادات و الناس فمن اجله يتحرك و يضطرب الغصن على النقا و تشرق و تتفتح الزهور البيض على الروابي

[1] المصدر نفسه ص 306 .
[2] ينظر :فوزية عبد الله محمد العقيلي ،الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي ، ص306 .
[3] ابن خفاجة ،دلائل الإعجاز ، ص 274.
[4] ابن خفاجة :الديوان ،ص 173 .

وتستطع رائحته و لأفعاله المعجبة اهتز الناس منتشين اهتزاز شارب الخمر الجيدة المعتقة

و هي كناية صريحة قرن فيها الشاعر بين ثلاثية الحواس لتعطي حيوية و حياة قصيرة خاصة بالتقاطها لجزئيات المشهد الشعري تمنح بالكلمات عرضا تفصيليا يضفي على هذه الصورة جاذبية و غنى إضافة لإمتاع المتلقي بالخيال الشعري الموحي الحي في الصورة [1].

و نزعه الشاعر إلى إحياء جميع الأشياء و تشخيصها سمحت له بان يأتينا بعدد عديد من الصور و الكنايات التي ينسب فيها ما يمتاز بها الإنسان إلى الجمال أو إلى أشياء معنوية و هكذا تأتى له أن يقول:[2]

فيما البطل الحامي و قد صافح الطلى بأبيض بسام الفرند طريـــر

بأطول باع من رحيم و قد سطـــا بارقش مصفر القميص قصير

فيا حسن مراى الملك بن مهنـــد خضيب و ردء لليراع نصير

فتراه فضل الممدوح في الكتابة بقلمه على بطل يصار الإبطال بسيفه و هي كناية على ما يحدثه القلم فقد شبه القلم المصنوع من اليراع بالسلاح الفتاك و رداء لليراع نصير فما يحدثه القلم يضاهي ما يحدثه السلاح في ساعة المعركة و هي كناية كما قلنا على الأثر البالغ الذي يتركه الكاتب التحرري في نفسية الجنود و تحفيزهم و بث روح الحماسة في نفوسهم و جاء ابن خفاجة بهذا النوع في قصيدة أخرى فقال :

فما السيف يوم الروع بنهت نصـــله فاضرمته نارا او ضرجته دما

بالين اعطاف و اخشن مضـــــربا و ارهب اقداما و اجدى تخدما

و لا الروض غب القطر فضضه الندى و رجع فيه طائرا فـــــتكلم

[1] ينظر :فوزية عبد الله محمد العقيلي ،الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي ، ص902 .
[2] ابن خفاجة :الديوان ،ص 183 .

بأطيب افياء و انضر صفحـــــــة و اعطر اخلاقا و احلى ترنما [1]

نلاحظ هنا كناية على القوة و الإقدام يقول أضرمته نارا و ضرجته دما و هي كناية على حدة السيف و شدة النزال و من مثل قول ابن خفاجة يمدح :

و القيت رجلي في ذراك و حبذا مناخ باعطان العلى و حلول

وذكر إلقاء الرحل هنا و لا تلقى إلا لإرادة المكوث و الإقامة بالمكان و لذلك جعل وجوده في حمى الممدوح و رعايته و طنا و سكنا و حوضا و ورودا و أضاف إلى ذلك قوله حلول و هو إلحاح بالصيغ عن الإقامة و المكان و كناية به الاطمئنان فيه و أراد دلالة الكرم و الجود و السماح و غيرها

المبحث الثالث : الصورة البديعية (الطباق – الجناس)

أما بالنسبة للصنعة البديعية و ما فيها من ألوان التحسين اللفظي و المعنوي فقد حظي الطباق و الجناس في المديح عند ابن خفاجة بنصيب أوفر من العناية فمن الطباق جمعه بين الظل و الشمس و المعدومات و الموجودات و غيرها من الأمور التي جمعها مبدأ التضاد و أخذها الشاعر وسيلة فنية لاغناء صوره الشعرية.

و أما الجناس و الذي يعد من المحسان اللفظية فقد اعتنى به الشاعر في مديحه أيما اعتناء ز ذلك بسبب ما يخلفه الجناس من نغمات منسجمة تطرب النفس إذا ما أحسن توظيفه و لكن استخدام الشاعر لصنعة الجناس لم يكن مقصورا على الميزة الموسيقية التي يتمتع بها الجناس بل أحيانا لجا إليه كوسيلة لتبين المعاني العرفانية وتقريرها في ذهن المتلقي[2] .

[1] ابن خفاجة :الديوان ،ص 238.
[2] مجلة ايضاءات نقدية:عبد الحميد حمدي ،ايران ، عدد 5 ،2012 ، ص 20

1/ الطباق:

فالطباق من المحسنات المعنوية هكذا صنفه البلاغيون و عرفه الخطيب بأنه الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة [1].

و هم نظروا إليه من جهة واحدة هي الأظهر ،وإلا فانه محسن لفظي فيه بعض ما في الجناس و التكرار من الجرس و هو في التكرار الصق خاصة في طباق السلب

(اعلم – لا اعلم) فانه تكرار لفظي ظاهر و في بعض أنواع منه تكرار للصيغة مثل (أمسى– أصبح – يعز – يذل)

و فيه تردد جرسي خفي و هو يقع للذهن مت تردد و تنقل بين المعنيين المتضادتين ،مما يعطي جرسا متنوعا و لعله ما أشار إليه الدكتور الطيب بقوله " من المهم أن نتبين الفرق بين الطباق و الجناس من حيث جوهرهما في طبيعة الصناعة الشعرية و الجرس اللفظي فالجناس عامل يظهر أثره في وحدة الجرس و الطباق عامل يظهر أثره في تنويع هذه الوحدة .

و قد أحسن د/الطيب في عده الطباق من أساس الإيقاع في الشعر العربي و اصدر أركان الرنين فيه . [2]

و سأدرج تحت مصطلح الطباق ما كان من شواهد المقابلة لأنها لمدة طباقات في جملتين و هو مذهب ابن الأثير لم يفرق بينهما [3].

و أجمل أنواع الطباق هو ما سماه د/الطيب (طباق الازدواج) و هو ما روعي فيه الكلمة العروضي أو الصرفي أو التركيبي أو موضعها من الشطر[4].

---

[1] ينظر :زيد ابن محمد بن غانم الجهمني ، الصورة الفنية في المعضليات – أنماطها ،موضوعاتها ،و سماتها الفنية ، مصادرها – الجامعة الإسلامية ،المملكة العربية السعودية .د ط. ص 15

[2] ينظر زيد ابن غانم الجهمني ،الصورة الفنية في شعر المعضليات ،ص 869 -870 .

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[4] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها ،

و من بين الشواهد في الشعر المدحي لابن خفاجة يذكر انه ورد في الديوان مرات عديدة إذا عثرنا على 268 طباقا و للذكر بان الطباق كما صرح به ابن المعتز هو:" الجمع بين الشيء و ضده "[1].

و يسمى الطباق حقيقيا إذا كان طرفاه بألفاظ الحقيقة فعلين أو اسمين أو حرفين ويسمى مجازيا إذا كان طرفاه غير حقيقيين [2] و إليك بعض الأمثلة :يقول ابن خفاجة في قصيدة مدحية :

تجردت عن غســـــــق و ابتسمت عن فلـــــق[3]

فالكلمتين (غسق.فلق) وقعتا أخر الشطرين و على وزن عروضي واحد و جاءتا على نفس التركيب و الصيغة الصرفية فهذا الطباق ما يسمى الطباق ألازدواجي.

و يقول :

كان لهيبا بين جنبيا واقدا به و ركايا بين جفنيا تمتح [4]

2/ الجناس :

و إذا أتينا إلى الجناس نجده لا يقل أهمية عن الطباق في كونه من المحسنات اللفظية التي تحمل الشعر و تكسبه حرية جديدة و تلونه بألوان مختلفة و الجناس هو تشابه الألفاظ في حروفها مع تحمل معاني مختلفة و هذا التجانس في الألفاظ يكسب الصورة الفنية إيقاعا موسيقيا و جرسا صوتيا خاصا .

و هي صورة أتى بها شاعرنا مرارا و قد أحصينا في ديوانه 688 جناسا [5].

و الجناس " لون من التنميق الصوتي للطبيعة التكرارية ذات التأثير الاقاعي الممتع"[1].

الممتع"[1].

[1] ينظر حمدان حجاجي ،حياة و أثار ابن خفاجة ،ص 325 .
[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .
[3] ابن خفاجة :الديوان ،ص 128 .
[4] ابن خفاجة :الديوان ،ص 129 .
[5] ينظر حمدان حجاجي :حياة و أثار ابن خفاجة ،ص 323 . .

و هو ما عرفه البلاغيون "بأنه تشابه اللفظين في النطق و اختلافهما في المعنى"[2]

و " الجناس ما للتكرار من تأكيد النغم و رنته و يزيد عليه بأنه يوجد نوعا من الانسجام بين المعاني العامة و رنة الألفاظ العامة "[3].

و قد احدث الشعراء براعة في استخدام الجناس و ذلك باستخدام عدد من أنواع الجناس و ينبغي أن نميز بين نوعين من الجناس .

النوع الأول :الجناس المماثل و" هو ما اتفق ركناه و تماثلا لفظا و خطا و اختلفا معنى من غير تفاوت في تركيبهما و اختلاف في حركاتهما سواءا كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم و فعل أو من اسم و حرف و كانا من نوع واحد"[4] و هذا النوع هو أكمل صورة بالتجنيس و ارفعها رتبة لم يتردد بكثرة في الديوان إذ لم نعثر على عشر صور منه و لنذكر على سبيل المثال بعضا منها .

نجمت تروق بها نجوم حسبها بالايكة الخضراء من خضراء

وقد جانس الشاعر بين خضراء و خضراء متخذا من تباعد المخارج بين الحرفين المختلفين و سيلة للجمع بين المتضادات و مزج بين المكان و اللون لهذا المعنى إلا أن الاتفاق في الحروف في باقي الكلمتين و اتفاقهما في الوزن كان له دور بارز في إحداث رنين موسيقي متوازي بالكلمتين[5] .

أما الجناس الذي ورد ذكره مرارا في الديوان فهو ما اختلف ركناه في حرف واحد ويسمى الجناس المضار إذا كان الحرفان متقاربان و أما إذا كانا متباعدين فيسمى الجناس اللاحق و مثال ذلك في المدح لابن خفاجة :

و كما ان نظرت مع الليالـي فلم انظر بها الا مليمـا

---

[1] د محمد عسكران : موسيقى الشعر ، مكتبة البستان للمعرفة ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2007 ، ص 233

[2] المرجع السابق ،الصفحة نفسها ،

[3] المرجع السابق ،الصفحة نفسه.

[4] ينظر حمدان حجاجي :حياة و أثار ابن خفاجة ،ص 324

[5] ينظر :ناجية ناحي دخيل الله السعدي :الزهد في الشعر الأندلسي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،ص 301 .

عباما او كهاما او جهانـــا لئيما اودميما او ذميما [1]

و الشاعر هنا جانس بين كلمتين كهاما و جهاما جناس لاحق و كذلك جانس بين القوافي في الكلمتين السابقتين ,و لأن الحرفين المختلفين متقاربان بالمخارج سمي هذا الجناس مضارع, و لا يخفى ما يحدثه هذا الجناس من وقع خفيف على أذن السامع ساعد على ذلك تقارب المخارج بين حرفي الكاف و الجيم فهي أصوات مجهورة والأصوات التي تتكرر في حشو الأبيات مثلا لئيما ،دميما، ذميما، و في القافية أيضا.

" و ذلك لان الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن و يرى فيها المهارة و المقدرة الفنية "[2].

و هناك نوع أخر من الجناس استعمله ابن خفاجة بكثرة و هو المسمى بالجناس المشتق الشعر " كلام موسيقي تنفعل لموسيقاه النفوس و تتأثر بها القلوب " [3].

المبحث الرابع : الموسيقى.

فالعلاقة بين الموسيقى و الشعر علاقة ترابط قوية و عميقة فللشعر كيفية خاصة في التعامل مع اللغة و هذه الكيفية التي تطبع العملية الشعرية بطابع موسيقي يثير انتباه المتلقي و مما يزيد الشعر سحرا انه يعتمد على الكلمة التي تجمع بين متعة الدلالة أوالفهم و طرب الصوت أو نشوة السمع[4] و هذا ما أشار إليه محمد غنيمي هلال إذ قال "وما الشعر إلا ضرب من الموسيقى إلا انه تزدوج نغماته بالدلالة اللغوية "[5]

فالموسيقى " أهم وسيلة استعملها الشعراء للإبانة عن فكرهم و انفعالاتهم " [6] و هي هي بهذا المعنى ليست زينة أو حيلة خارجية تضاف إلى الشعر لكنها جزء من بنيته ووسيلة من وسائل الإيحاء ،و قد لقدرها على التعبير على دخائل النفس ،و هكذا تعد

[1] ينظر حمدان حجاجي :حياة و اثار ابن خفاجة ،ص 325 .
[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[3] إبراهيم انيس :موسيقى الشعر ،مكتبة الانجلومصرية ،مصر ، ط3 ،1965 ،ص 17 .
[4] محمد غنيمي هلال:النقد الادبي الحديث ،نهضة مصر للطباعة و النشر ،مصر، 2004 ،ص 436 .
[5] محمد الويهي :الشعر الجاهلي ،منهج في دراسته و تقويمه ،الدار القومية للطباعة و النشر ،القاهرة ج1 ، دت ، ص96 .
[6] شوقي ضيف ،فصول في الشعر و نقده ،دار المعارف القاهرة ،ط2 ،1977 ،ص 28 .

الموسيقى من ابرز مظاهر الشعر ،فهي تؤدي دورا حيويا في التعبير عن التجربة الشعرية للشاعر إذ تثير فيه الشعور ،و تهز فيه الوجدان ،و هي بذلك تعبر عن جمال الشعر ،لان " جمال الشعر أن يبهج الشعور و العاطفة ،لا أن يخاطب العقل والمنطق و ليس ابلغ من الموسيقى في إثارة الشعور "[1]

من هذا المنطلق ستكون الدراسة –هنا– بحثا عن قصيدة المديح عند ابن خفاجة ،او الإيقاع الذي ينظم المسافات الزمنية بين الأصوات دون إقفال الوزن و القافية والروي.....و غيرها مما سيأتي عرضه.

يحتل الوزن الصدارة في دراسة القصيدة العربية كونه يمتاز بالشمولية و الاتساع إذ يعد حجر الأساس في بناء القصيدة العربية حيث لا يملك أن تقوم إلا عليه فهو يحفظ للشعر خصوصية من زاوية ما ينطوي عليه من تناسب و انضباط إيقاعي لا يوجد في غيره من أنواع الكلام الأخرى فالقصيدة إذا فقدت العنصر النغمي (الوزن الشعري).[2]" تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة النثر "[3].

و بالرجوع إلى الشعر نلقى الإيقاع مرتبطا باستمرار الوزن على الرغم من أن الإيقاع ظاهرة اشمل و اعم من الوزن في الشعر محمد غنيمي هلال يعتبره الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام ،أو في أبيات القصيدة أما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت "[4].

فمن الملاحظ أن ابن خفاجة لم يفاجئنا بشيء جديد في هذا الميدان و لو القينا نظرة على البحور التي استعملها يتجلى لنا انه كشاعر تقليدي اكتفى بالاقتداء بالشعراء الأولين و نجد في شعره جميع البحور ماعدا أربع لم نعثر عليها في الديوان و هي الهزج و المضارع و المقتضب و المتدارك و أما البحور الباقية فقد حاولنا

[1] النعمان القاضي ،شعر التفعيلة و التراث ،دار الثقافة ،القاهرة ،1977 ، ص 27-28 .
[2] ينظر محمد النويهي : الشعر الجاهلي نهج في دراسته و تطبيقه ، ص 39 .
[3] عبد الدايم صابر : موسيقى الشعر العربي بين الثبات و التطور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1993 ، ص 18 .
[4] محمد غنيمي هلال :النقد الأدبي الحديث ، ص 453 .

ترتيبها بالنسبة لترادها فاحصينا عددها و وضعنا النسبة المئوية لكل بحر منها فجاء الجدول الأتي [1]:

	الطويل	الكامل		المتقارب	السريع	الوافر	البسيط		المديد	الخفيف	المجتث	المسرح	الرمل	الرجز
الابيات	1302	كامل	مجزوء	272	151	131	مخلع	مجزوء	68	48	33	28	9	08
النسبة المئوية	93.4	1032	76	8.23	4.54	3.96	70	4	2.05	1.44	0.95	0.84	0.27	0.24
		31.33	2.3				2.14	0.12						

و من اليسير أن نلاحظ في هذا الجدول أن ابن خفاجة قد أكثر من البحرين الطويل و الكامل إذ بلغ عدد الأبيات التي قيلت فيها ثلثي أبيات الديوان فهل تصوغ لنا الملاحظة أن نقول بان شاعرنا كان يفضل هذين البحرين على غيرهما ؟ [2]

الجواب عن هذا السؤال عسير جدا ،لأننا لو تأملنا شعر ابن خفاجة لتجلى لنا انه استعمل هذه البحرين في القصائد التي مدح بها أمراء المرابطين و هي قصائد كما لاحظنا عليه أنفا طويلة بالنسبة لما في عهد ملوك الطوائف ،حين كان يتمتع بالحرية الكاملة ،لا حاجة إلى استر جاء رجال السلطة.[3]

و أما البحور الأخرى فهي اقل عددا في الديوان و نجدها في غالب الأحيان مستعملة في مقطوعات شعرية قصيرة لا تزيد تارة على البيتين ماعدا البحر المتقارب الذي جاء في قصيدتين :

و حسبك من اوحد امجـــــد تباهي به العرب صيد العجم[4] (متقارب)

و كذلك قوله :

مليك تبسم ثغر المنـــــــى برماة و امتد خطو الامــل

يشيد اللثام على صفحـــــة ترى البدر منها بمرقى زحل

[1] حمدان حجازي :حياة و أثار الشاعر ابن خفاجة ، ص 328 .
[2] ينظر حمدان حجاجي:حياة و اثار ابن خفاجة ،ص 326
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
[4] ابن خفاجة :الديوان ، ص 58 .

فلم ادر و الحسن ضوئـــــه ابدا بالمدح او الغـــــزل[1]

و هذه كتلك قالها ابن خفاجة في المدح.

1/ القافية:

تعد القافية عنصر من العناصر التي تصب في بناء موسيقى القصيدة العربية وذلك " تبعا لعلاقتها العضوية بلحمة اللغة الشعرية حيث تختزل ابرز سمة للشعر وهي التوازن الصوتي" [2] و يقول إبراهيم أنيس في تعريفها " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات أو القصيدة و تكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذه التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة و بعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن "[3].

و يقول فيها الخليل :" الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أو ساكنين في أخر البيت الشعري "[4].

و يمكن القول أن القافية حلية شكلية تقوم بإضفاء نوع من " الموسيقية التي يرتبط بها المبدع ،و تفرض عليه الاسترسال في تكوين النص الشعري من جهة كما تفرض على المتلقي سامعا كان أو قارئا الانسياق مع تلك النغمات الإيقاعية و الرنات الموسيقية في شوق و لهفة إلى نهاية القصيدة"[5].

و القافية نوعان : (المقيدة و المطلقة)

---

[1] ابن خفاجة ، الديوان ، ص 59 .
[2] حسين العرفي ،حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2001 ، ص 68 .
[3] إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر ، ص 246 .
[4] محمد عبد المنعم خفاجي : عروض الشعر مكتبة القاهرة ،ط1 ، ص 163 .
[5] المرجع نفسه ، ص 121 .

القافية المطلقة هي ما كان حرف رويها يحمل حركة واحد من حركات الإعراب القصيرة و هي الفتحة و الضمة أو الكسرة و بعبارة عروضية تحمل مجرى و هو احد الحركات المذكورة [1].

" و إن تقيد القافية و إطلاقتها مرتبط بسكون الروي أو حركته ،فالقافية المقيدة هي ما كانت ساكنة اروي سواء كانت مردوفة أو خالية من الردف".

و قوافي ابن خفاجة كغيره من الشعراء الآخرين موزعة بين التقييد و الإطلاق ،فقد ورد كلا النوعين في أشعاره ،و بين أنغام موسيقيه لكن مع اختلاف في نسبة الشيوع ،خاصة في بناء قصيدته المدحية فالقافية المقيدة و التي رويها ساكنا قل شيوعها في الشعر العربي عامة.[2]

يشد اللثام على صفحـــة ترى البدر منها بمرقى زحل

فلم ادر و الحسن ضئولة اابدا بالمدح أو بالغـــزل[3]

و يقول كذلك في هذا الصدد :

أتانا الزمان به أخرا تهشى إليه اليالي الأول

مليك تبسم ثغر المنى بمراة و امتد خطا الإبل[4]

و من الملاحظ في ديوان ابن خفاجة ،خاصة فيما تعلق بقصائد المدح إن استخدام الروي الساكن جاء قليلا و لعل هذا يعود إلى انخفاض الهدوء و السكون و الاتزان ،فقد كانت حياته حركة دائمة وصراعا مع الكائدين من أهل زمانه .

و أما عن أنواع القوافي المقيدة ربما تفي بالغرض نحو قوله :

فما روضة غناء في رأس ربوة تعل بمنهل في المزن ساجم .

[1] محمد عبد المنعم خفاجي : عروض الشعر مكتبة القاهرة ، ص 163 .
[2] ابن خفاجة الديوان، ص 172.
[3] المصدرنفسه: الصفحة 178.
[4] المصدر نفسه الصفحة 180.

بأحسن مرأى من حلاك لناظـر و أعطر نشرا من ثناك لناسم [1]

الروي : يأتي حرف الروي في أخر كل بيت شعري ليؤدي وظيفة موسيقية و ضبط توقعناه و نحن نشعر بهذه الوظيفة عندما نشرع في قراءة قصيدة شعرية ،حيث نشعر أن ثمة جزءا غائبا من بنية بيته .

2/ التكرار:

انتشرت ظاهرة تكرار الأصوات كأداة لرفع المستوى الإيقاعي ،فالتكرار عن تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير ،إذ أن تردد بعض الحروف و الكلمات ،قد يكسب الشعر لونا من الموسيقى تستريح له الأذان و تقبل عليه و مثل هذا كمثل الموسيقى حين تردد فيها الأنغام بعينها في موضع خاصة من اللحن ،فيزيدها هذا التردد جمالا وحسنا فليس تكرار الحرف قبيحا إلا حين يبالغ فيه و حين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق به عسيرا فالمهارة تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقى الماهر النغمات في توقته"[2].

تكرار الصوت.

و من أمثلة تكرار الحروف المبينة على أساس تكرار بعض الأصوات سواء كانت نابعة من روي القافية أم من ثنايا البيت فمن هذا اللون نجد تكرار حرف (الميم) في قول بن خفاجة في المدح :

امام تدانى رافة و سما بـــه الى المجد بيت طاول النجم اروع

جلي و من بطحاء مكـــــة اليه و للبيت الحرام تطلـــــع [3]

خلق هذا التكرار تجانسا صوتيا مع حرف الروي (العين) فقد تكرر صوت (الميم) ثمانية مرات (إمام ،سما ، المجد، النجم، من ، مكة ، الحرام ،) و هذا الحرف

[1] انظر :حفراوي زينب ، جماليات قصيدة المديح في شعر الأعمى التطيلي ، ص 134.
[2] ينظر إبراهيم انيس ،موسيقى الشعر ، ص 41
[3] ابن خفاجة ، الديوان ، ص 190 .

يوحي بنوع من الإحساس و قد تناسب القصيدة و وافق غرضها و أعطاها إيقاعا موسيقيا عذبا

و يقول أيضا :

يسير به الحق رأى مســـددا على منهج التقوى و عزم مؤيد

فما ترعد الأسياف الا مهابــة لمؤتمر في الله ينهي و ينهـــد

و يدكي وراء الليل عينا حديدة و ينام بها الدين احتراسا و تشهد[1]

في هذه القصيدة المدحية لابن خفاجة نرى انه بناها على حرف الروي (الدال) وذكر بنسب متفاوتة خلال أبياتها مما أعطاها عذوبة و رونقا و جمالا موسيقيا تعزف به أوتارها فحرف (الدال) صوت ذا قيمة عالية و هو صوت شديد مجهور ،فهو احدث صخبا وصفيرا فكان الشاعر يصرخ فرحا بخصال ممدوحه و هذا ما يوحيه تكرار هذا الحرف.[2]

إذ يبدو أن استخدام ابن خفاجة للبديع و تأثيره في الموسيقى ناتج عن قدرته و تمكنه من اللغة حيث يستطيع الإجادة في الوزن و القافية

و خلاصة القول أن قصائد ابن خفاجة المدحية غنية بالعناصر الموسيقية المتنوعة وما تولد من موسيقى داخلية إلى جانب عنايته بالألوان الموسيقية الأخرى كالتكرار الصوتي والتصريع و التصدير و الجناس و غيرها من ضروب و أنواع الإيقاع الموسيقى الشعرية ،فكل هذا التلوين الموسيقي الثري كان في الأصل صدى للإيقاع النفسي لذات الشاعر المهيمن على اغلب قصائده .

[1] ابن خفاجة الديوان، ص 183

[2] انظر :حفراوي زينب ، جماليات قصيدة المديح في شعر الأعمى التطيلي ، ص 113.

خاتمة

خاتمة:

كان الشعر الأندلسي،عرقا نابضا حيا في الشعر تدل بوجودها في و حضورها اللافت في صورة على عمق التجذر العربي و الانتشار الروحي و العاطفي و الديني و العرقي و الانتقاء الثقافي إلى الشعر الأندلسي القديم و بيئته الأولى و ما تحمله صور الأندلسي إلى نقاء البدايات هذا الشعر من صفاء روحي يشد الشعر .

فالمدح اتجاه قوي الظهور عميق الأثر في الشعر الأندلسي و كان يأتي في هذا الشعر على صور متعددة ،حاولت الدراسة تتبع عناصرها و تحليلها ،و إبراز مدى ظهورها في هذا الشعر على صور متعددة ،لدرجة صح معه أن تكون اتجاه ،أي طريقا ومسلكا فيه ،فقد ترسم الشعراء الأندلسيون الخطى المدحية في شعرهم ،و غنوا بتكثيف العناصر المدحية ،في هذا الشعر ،إما حبا لهذا النوع و إعجابا بما هو إثباتا للمقدرة والبراعة ،أو خروج المدح طبعا عن نفس مشربة بروحها ،فظهرت في قوالبه و صوره و قد خلصنا من الدراسة إلى نتائج متعددة لعل أهمها و أبرزها :

- إن هذا الاتجاه المدحي بعناصره و صوره و أساليبه و ألفاظه و ما إلى ذلك يكثر في الشعر الأندلسي و يمتد إلى معظمه و عند اغلب الشعراء وبالأخص ابن خفاجة .

- بحكم أن الشاعر الأندلسي يرى في كثير من شعره مظاهر الحضارة الأندلسية بمعنى المدح فصنع منه مكونا شعريا غريبا و جليلا فيه مذاق الحضارة و فيه أصل الأندلس.
- ارتبط الشعراء الأندلسيون بمورثهم التاريخي و الثقافي و العاطفي و تداخل عالم الطبيعة الأندلسية الساحر في النفس الأندلسية الشاعرة فتعانقا وتلاحما و ارتبط ارتباطا و ثيقا .

وجدنا أن الشاعر الأندلسي عندما يحن إلى شيء ما في نفسه فانه يكثر من صياغة شعره في صيغ المدح ،و يحشد فيه ما عن له من أسماء الأمكنة و يحملها ماشاء من تداعيات المعاني و الذكريات .

انه إذا كان الحنين بات الشعر العربي فانه في الأندلس أقوى و أعمق لان العرب فيها مغتربون جسديا و روحيا ،في بيئة غير عربية ،و من هنا أصبح الالتحام بالأصول رغبة في التجذر أكثر سريانا في الشعر الأندلسي ،و بخاصة في العصور المتأخرة.

- وجدنا أن الخيال الأندلسي كان نشطا في استحضار العديد من الصور بتفاصيلها الصغيرة و استخدامها في الشعر الأندلسي متطفلا على المعاني و الصور المدحية ،كما قد يكون مثيرا فاعلا في إضفاء الحيوية عليها .

- اتخذا الشعراء الأندلسيون كسابقيهم الجاهليين فن وصف الممدوح سلعة ومركبا يصلون به إلى قلب الممدوح و قد كانت هذه الطريقة من التقاليد الشعرية في بناء قصيدة المدح .
- قد لا تأتي القصيدة المدحية الأندلسية المتضمنة وصف الممدوح على الطريقة الجاهلية الغالبة في البناء أو الترتيب.
- جاء ذكر الممدوح ووصفه في الشعر العربي العامة ،لا يعني في الأغلب استجداء الشاعر المادح عن طريق الإسهاب في بيان المشاق و التعب والجهد و كأنه يتوسل إليه بصفات الضعف الجسدي و النفسي و يتعلل بما لاقى في سبيل إجراء المكافأة .

إن الشاعر الأندلسي رأيناه قد يزاوج في الصورة بين وصف الممدوح و الطبيعة وعناصرها ،لكسب وده و شوقه إليه أو الاهتداء بنوره أو تعلله بسيرته العطرة ....و ما إلى ذلك.

- كانت لقصيدة المديح أهميتها في الشعر الأندلسي كما كان الحال عليه في الشعر العربي و كان سبيل الشاعر الأندلسي في ذلك تتبع التقاليد المتوارثة في شعر المدح العربي فالقصيدة الأندلسية جزء من منظومة هذا الشعر ولذا جاءت هذه القصيدة حافلة بصور الطبيعة و المماليك و الولاة وخاصة في المقدمات سبيلا لإثبات البراعة.

- و كان لقصيدة المدح النبوي أهمية روحية في الأندلس تعاظمت جراء الوضع السياسي القائم الذي كثرت فيه الفتن و الاضطرابات فازداد الإنشاد الروحي في الأندلس ،للرسول صلى الله عليه وسلم ،و الديار المقدسة .
- كثرة التشبيهات في شعر ابن خفاجة :وتظهر في كثير من الصور وسياقاته و أغراضه المتعددة مما دل به هذا المكلف على التداخل الفني في النسيج الفكري ،و الثقافي و العاطفي و الخيالي بل و الذوقي في الأندلس .
- حفل شعر ابن خفاجة بالصور الاستعارية التي استفادها الشاعر من طبيعة الأندلس فوظفتها في سياقات عدة و أنسبغ عليها من نفسه و مشاعره .
- توافر الانفعال الصادق و التجربة الشعرية في أبيات المدح التي تترجم في الغالب حقيقة و واقعا ملموسا عند ابن خفاجة .
- تفوق شعر المدح عند ابن خفاجة في توظيف الأشكال الموسيقية و ميله إلى السهولة و الوضوح في ألفاظه و تراكيبه.

قائمة المصادر
و
المراجع

القرآن الكريـــــــم

قائمة المصـــــــــادر و المراجـــــــع

2 – ديوان المعتمد بن عباد : دار الكتب المصرية ، ط3 ، 2000.

3 ¯ أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي : ديوان أبو إسحاق ابن خفاجة الأندلسي ،تحقيق غازي مصطفى ، مكتبة المعارف الإسكندرية ، مصر ، ب ط .

4 – إسماعيل باشا بن محمد البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون على أسرار الكتب و الفنون ،المكتبة الإسلامية ،طهران ،ط3 .1989

5 – البيهقي :دلائل النبوة للبيهيي ، تحقيق د/عبيد المعطي ، ج1 ،باب حديث سعد بن معاذ .

6 – الشيخ بن نايف السحود :موسوعة الخطب و الدروس باب الحب في الله .

7 – بشرى موسى صالح :الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1994 .

8 – جابر عصفور :الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ،دار الثقافة القاهرة 1974.

9 – سامي سويدان : في النص الشعري العربي ،دار الأدب بيروت ، ط1 1989.

10 ¯ شوقي ضيف ،فصول في الشعر و نقده ،دار المعارف القاهرة ،ط2 1977.

11 – عبد الرحمان الحجي :التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ،دار القلم ،دمشق 1968 .

12 – عبد الله الغذامي : القصيدة و النص المضاد ،المركز الثقافي العربي بيروت ، ط1 ، 1994.

13 – عساف ساسين :الصورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،ط1 ، 1982.

14- على البطل :الصورة الشعرية في الشعر العربي ،دار المركز الثقافي العربي بيروت لبنان،ط2 ،1983 .

15 - علي الغريب محمد الشناوي : الاخوانيات في الشعر الأندلسي ، مكتبة الأدب ميدان الأوبرا ،القاهرة ، ط1

16 - محمد عسكران : موسيقى الشعر ، مكتبة البستان للمعرفة ، الإسكندرية مصر ، ط1 ، 2007 .

17- محمد علي سلامة: الأدب العربي في الأندلس، الدار العربية للمنشورات ط1 ، 1989 .

18 - محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس المؤسسة العربية للتأليف ، الأردن ، ط 1 ,1986.

19- مصطفى ناصف :الصورة الأدبية ،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع بيروت.

20-إبراهيم أنيس :موسيقى الشعر ،مكتبة الانجلو مصرية ،مصر ، ط3 ،1965

21-ابن الأثير : المثل في أدب الكاتب و الشاعر ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،بيروت ، المكتبة العصرية صيدا ،1990 ،ج1.

22-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب ،مادة مدح ،دار صادر بيروت، دط 1965 ، ج2

23-احمد بن علي القلعشندي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دار الفكر ،دمشق ،ط1 1987 .

24-احمد فوزي هايب : الحركة الشعرية في زمن المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ،الأردن, ،ط1.

25-الاعشي ميمون بن قيس : الديوان شرحه و قدم له مهدي محمد نصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ط2.

26-الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر، أسرار البلاغة،دار صادر بيروت ،دط 1965.

27-السعيد الورقي:لغة الشعر العربي الحديث ،مقوماتها الفنية و طاقاتها الإبداعية ،دار المعارف ،القاهرة ، ط2 ،1983 .

28-القيرماني :ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ،ج1 ،تحقيق محمد عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ،ط3 ،1963.

29-النعمان القاضي ،شعر التفعيلة و التراث ،دار الثقافة ،القاهرة ،1977 .

30 الامدي الحسن بن بشير ، الموازنة بين الطائيين ،ت احمد صقر ،مطبعة دار المعارف ،ط1 ، 1964.

31-جرير بن عطية الخطفي :ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت،لبنان ،ط 1 1986.

32-جميل حمداوي :شعر المديح النبوي في الأدب العربي،منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط1 ,1986.

33 حازم القرطجني :منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،ت الحبيب بن خوجة ،الدار العربية للكتاب ، تونس ،2008.

34-حسين العرفي ،حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، إفريقيا الشرق المغرب 2001 .

35-حكمت علي الأوسي:الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ،مكتبة الخانجي القاهرة ،1976 .

36-حمدان حجاجي :حياة و اثار الشاعر الاندلسي ابن خفاجة،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1 .1994.

37-دراسات في الأدب الأندلسي ،د/ سامي مكي العاني ,ط 1 ,1994.

38-دريد بن الصمة:الديوان ،دار المعارف ، القاهرة ،دط ، 1950.

39 زيد ابن محمد بن غانم الجهمني ، صورة الفنية في المعضليات – أنماطها ،موضوعاتها ،و سماتها الفنية ، مصادرها – الجامعة الإسلامية ،المملكة العربية السعودية .د ط.

40 –سامي يوسف ابو زيد : ادب الدول المتتابعة ،دار المسيرة للنشر و التوزيع ط1 ،2012.

41 –سلام علي محمد : الأدب العربي في الأندلس –تطوره– موضوعاته و أشهر أعلامه الدار العربية للموسوعات،بيروت،لبنان.

42 –شهاب احمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر ،بيروت ،لبنان ، ط1 ,دت .

43 –شهاب الدين بن محمد الابشهي :المستطرف في كل مستطرف ،دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1422 ه .

44 –عبد الدايم صابر ، موسيقى الشعر العربي بين الثبات و التطور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1993.

45 –عبد الرءوف المناوي : قيطن القدير ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط1، 1972 .

46 –قدامى بن جعفر: نقد الشعر ،عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية ،بيروت.

47 –قيس بن الملوح : ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى).

48 –لاشين عبد الفتاح : البيان في ضوء أساليب القران ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ،1988 .

49 –محمد أبو موسى :قراءة في الأدب القديم ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،مصر،ط2 1998.

50 –محمد الويهي ،الشعر الجاهلي ،منهج في دراسته و تقويمه ،الدار القومية للطباعة و النشر ،القاهرة ج1 .

51 –مصطفى دراوش : الموقف النقدي لجماعة الديوان من الشعر العربي ،القاهرة
52 الهشمي سيد احمد ،جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ،طبع وتدقيق :د يوسف صوميلي المكتبة العصرية بيروت ،ط1 ،2008.
53 ينظر زيد ابن غانم الجهمني ،الصورة الفنية في شعر المعضليات.

الأطروحـــــــــــــــات.

1 –الدلاهمة ،إبراهيم ،الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني (رسالة ماجستير (جامعة اليرموك ،اربد ،الأردن ،2001.
2 –الشعر العربي في شرق إفريقيا (كينيا و تنزانيا) في العصر الحديث ،احمد سليمان سويي الأوغندي ، بحث تكميلي لنيل الدكتوراه في الأدبيات ، الجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام أباد ، باكستان ، 2010–2011
3 –المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ،أطروحة دكتوراه ،عبد القادر البار جامعة أبي بكر ،تلمسان ،الجزائر ،2011–2012
4 –حفراوي زينب ، جماليات قصيدة المديح في شعر الأعمى التطيلي،رسالة ماجستير .
5 –خالد زياني :الصورة الأدبية و خصائصها اللغوية عند البلاغيين و الأسلوبيين ،مخطوط دكتوراه ،جامعة الجزائر 2007 .
6 –رابح ملوك :بحث في بنية الصورة الشعرية و أنماطها ،عند الماغوط ،مخطوط رسالة الدكتوراه ،جامعة الجزائر 2008.
7 –فوزية عبد الله محمد العقيلي ،الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي ،رسالة دكتوراه ،جامعة أم القرى ،المملكة السعودية.
8 –ناجية ناحي دخيل الله السعدي ، الزهد في الشعر الأندلسي ، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .
9 –يحياوي زكية :الصورة الفنية في التجربة الرومنسية ،رسالة ماجستير ،جامعة تيزي وزو ،2011.

المجـــــــــــلات .

1 –جميل بدوي حمد الزهيري : المحولات الثقافية في قصيدة ، المديح السياسية في العصر الأموي ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العراق ، 2013.

2 –عصام عبد الطيف:الإنسان و البيئة منشورات وزارة الثقافة و الفنون ،الجمهورية العراقية، سلسة الموسوعة الصغيرة .

3 –فتيحة دخموش ،تجربة الغربة و الحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي ،مذكرة ماجستير ،كلية الآداب و اللغات جامعة منتوري ،قسنطسنة ،الجزائر

4 –فيروز الموسى ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،سوريا دمشق.

5 –مجلة ايضاءات نقدية ،عبد الحميد حمدي ،إيران ، عدد 5 ،2012 .

الكتب الأجنبية .

1 –كين روبسون : صناعة العقل ، ت (رامة صومالي) دار المعارف ،الأردن ط1 ،2013 .

2 –انخل بن ثالث بالنثيا :تاريخ الفكر الأندلسي ،ت حسين مؤنس ،مكتبة النهضة المصرية ،مصر ،ط 1 ،1956.

3 –أرسطو:فن الشعر ،ت د إبراهيم حمادة ،مكتبة الانجلو مصرية .

4 غويس غريسيه :الشعر الأندلسي ،ترجمة حسين مؤنس ،ط1 ،القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،1953 .

المواقع الالكترونية .

1 www.alyaum .com , 25/03/2015 , 11 :52.

مقدمـــــة:..... ا

مدخـــــل : 4

1/ مولده :.....4

2/ ثقافته :..... 11

3/ شاعرته :..... 12

4/ الاغراض الشعرية :..... 13

5/ اسلوبه :..... 15

الفصل الاول : المديـــح 17

المبحث الاول: المدح 17

المبحث الثاني : المدح النبوي 22

المبحث الثالث :المديح في العصور 30

المبحث الرابع : انواع المدح 37

الفصل الثاني: جماليات الصور..... 51

المبحث الاول : مفهوم الصورة الشعرية 57

المبحث الثاني : الصورة البيانية 61

المبحث الثالث : الصورة البديعية (الطباق – الجناس) 74

المبحث الرابع : الموسيقى 78

خاتمة ..... ث

قائمة المصادر

الفهرس

ملحق